

تاريخ

# بابل واشور

تأليف مجيل افندي نخلة المدور

عفي عنه

وقف عليه وصححه الشيخ ابراهيم اليازجي

طبع في بيروت سنة ١٨٧٩ مسجبة

تفتيح  
١٩٤٤تفتيح  
١٩٥٩

بسم الله الحي الباقي

١٩٤٤  
١٩٤٤

١٩٤٤

الحمد لله الذي جعل لنا نبأ المتقدمين عبرةً وذكرى . ودلنا بزوالهم على انه هو الباقي الذي سيعيدهم تارة اخرى . اما بعد فان علم التاريخ لمن اجل العلوم مقداراً . واوسعها مداراً . به تعلم الخِطَط والممالك . وسياسة الملوك والممالك . وما كان للغابرين من الشعوب والقبائل . والانساب والمنازل . والعقائد والمذاهب . والتجارات والمكاسب . والصناعات والعلوم . ما بين منطوقٍ ومنهوم . الى غير ذلك من الفوائد الكثيرة . والمطالعات الاثيرة . واشوم الطالع الذي عم هذه الاقطار . وما توالى عليها من الحوادث والاقدار . قد طس الجهل فيها على آثار هذا العلم الشريف . وضرب الفقر على ايدي ارباب التدوين والتأليف . فن عهد كذا من الزمان لم نجد من دون سفرنا يسفر عن احوال ايامه واهله . ولا من بحث في تواريخ الامم السالفة ونقب عن احوالها واصحابها . من نحو الاشوريين والمصريين . وغيرهم من الشعوب الغابرين . حالة كون الافرنج مثلاً قد بحثوا في ذلك البحث العميق . وامنوا في التنقيب والتدقيق . وقد احصوا من تلك الحقائق ما لا مزيد عليه لباحث . وقرروا كثيراً ما غرّب من الآثار والحوادث . فتراهم يرحلون في طلب الوقوف على ما في هذه البلاد من الآثار . ويتجشمون لذلك مشقة الاسفار واقتحام الاهوال والاطوار . خلا ما هنالك من صرف النفقات الجزيلة . ومعاناة الاتعاب الطويلة . حتى افضى بهم الامر الى احفار جبال من الانقاض والاتربة . لكشف ما بقي تحتها من الآثار والاخرية . فشرحوها للمطالع شرحاً واضحاً عن عيان . يظهر به حال تلك الامكنة وما كان عليه اهله في ذلك الزمان . وبيان واضعها وهادمها وما وقع بين ذلك من الحدّثان . والى اليوم ما يرحوا يجدون في البحث عما بقي مستتراً وراء ظل القدم ونفليات الدهر . وكثيراً ما نقلوا من تلك الابنية العظيمة والصخور الضخمة فحاوها على مراكب البر والبحر . بحيث لو جمعت تلك المنقولات لكانت مدينة كبيرة من اعجب الابنية واسناها . قد حُملت من الشرق الى الغرب فرست هنالك ولن يبرح الى الابد مرسامها . فقد استأثروا بمعظم ما اشهر من مفاخر اجدادنا . وزينوا بلادهم بما دفنته الدهور من آثار بلادنا . ولا اقول الا ان تلك المآثر الجلييلة . والمفاخر الاثيلة . قد اصبحت عند من يقوم بحفظها ويقومها باثمانها . ولا يرضى لها ما رضيناها من اهلها

وهوائها . هذا واني لما رايت نقاعد ابناء الشرق عن سلوك مثل هذا السبيل . وعدم احتفالهم بما ينبغي من الجهد لادراك هذا الشأن الجليل . حدثتني نفسي ان انطاول على ما بي من القصر . فاجني لم بعض ما وصلت اليه يدي من داني ذلك الثمر . لعلم اذا اعجبهم الامر سمو فيه الى اعلى ما قصدت . فاستقيت من فضلهم بعد ذلك اكثر ما افدت . فاستصحت بنبراس اولئك القوم الافاضل . واغترفت ما يسع مثلي اغترافه من سلسال تلك المناهل . وانفت هذا الكتاب في تاريخ اشور وبابل . وقد جمعته عن اشهر اقوال المؤلفين في هذا الاوان . ما وصلوا الى تحقيقه بعد شهادة الاختبار والعيان . وقسمته الى قسمين احدهما جغرافي يبين الحدود والمساحات . وما يتعلق بذلك من الابنية والمدن والهياكل والمساحات . والآخر تاريخي ذكرت فيه ترجمة من اشهر من ملوكهم وعظائمهم . وما اشتهر لهم من الفتوحات وعظائم الاعمال الى حين انقضائهم . والمامول من ارباب النقد غرض الطرف عما يرون فيه من الخلل . والله المسؤول ان يوفقنا الى السداد هو حسبنا وعليه

المتكل

## مقدمة

قد اختلف المؤرخون في بيان اصل البابليين والاشوريين واشياء كثيرة ما يتعلق ببداية امرهم فذهبوا في ذلك مذاهب شتى لا تتلاءم ولا تتقارب حتى توصل الافرنج في هذا الزمان الى حل الكتابة المعروفة بالمسارية وهي الحروف الاشورية فتيين لم كثير ما كان المؤرخون يختلفون فيه من تلك الحقائق وجزموا بكثير منها عن يقين لانهم راوا حقيقتها مسطرة على جدران الابنية التي كشفوها في تلك النواحي فكانت اصدق شاهديها كان من امر تلك الابنية وواضعيها وتواريخها الى غير ذلك مما يقررها باجلى وضوح . وكان كثير من متقدمي المؤرخين الذين بوصفون بالثقة والشهرة يعملون مملكة البابليين او الكلدان نفس مملكة الاشوريين وذلك كما فعل هيرودوطس المؤرخ اليوناني المشهور حيث يقول في تاريخه ما ترجمته ان اشور تشتمل على كثير من المدائن الكبيرة الا ان اسمي تلك المدائن مجدا وامنعها عزة مدينة بابل وقد اتخذها ملوك تلك البلاد عاصمة لهم منذ خراب مدينة نينوى اه . والصحيح غير ما ذكره فانه علم بعد البحث ان كلاً من بابل ونينوى كانت عاصمة للملك في زمن واحد وقد كانت بين المدينتين حروب متواترة . ويمكن ان يستدل من ذلك ان ما رواه عن فنون الاشوريين وتاريخهم اصله للكلدانيين او ما رواه عن عوائد البابليين وعقائدهم هو للاشوريين الى غير ذلك مما يجاذبه طرفا الوم والصحة على ما ستراه في مواضعه ان شاء الله تعالى .

وانما كان منشأ هذه الاختلافات على الاكثر كتاب الفرس الذين شعبوا التاريخ بحكايات فارغة خرافية لا يوثق بها وجعلوا كتاباتهم في بلاط ملوكهم فكان كل من اراد الاطلاع على شيء من اخبار هاتين المملكتين يستعين بها فينقل عنها ما اراده حقيقياً كان او غير حقيقي وتداولت هذه الحكايات الطويلة السنة العامة فزادوا عليها وحرفوا منها حتى اصابها مع تمادي الازمنة وتكرر الايام نفس ما اصاب تلك القرون والآثار من الانقلاب والاضحلال . وحسبك من ذلك انهم رجعوا بملك نينيب فلاصر الذي سموه نينوس سبعة قرون وبملك مموراميت امرأة بعلوخوس الثالث التي سموها سيراميس اثني عشر قرناً وقالوا انها امرأة نينوس المذكور ونسبوا اليها بناء سور بابل وهكل بعلوس والنصرين الملكيين والحداثي المعلقة احدي العجائب ووصفي النهر وغيرها من الاعمال

الكبيرة والحروب العجيبة التي تذكر في الكلام عن بابل وسبراميس ومختصر وغيرها . ولا قصد  
 اكترياس الكندي طبيب ارتكرسيس منيون الفارسي جمع تاريخ لاشور باليونانية نقل عن الكتب  
 الفارسية التي في بلاط الملك الخرافات المذكورة وهي المتداولة بين العامة فاقتبسها كتاب اليونان من  
 بعد وما زالوا يتداولون ذكرها ويتناقلونها هم وغيرهم من امم شتى الى عصرنا الحالي . لاجرم ان ملكي  
 بابل واشور هما من اقدم الممالك فخراً ونسبةً ومن اشهرها تاريخاً واعلاماً عزةً ومجداً وقد بلغنا من  
 العظمة والرفعة في المشرق على عهد مختصر ما بلغت مملكة الرومان في المغرب على عهد كبراه  
 الفياصرة ونرى ايضاً ان لها تاريخاً متوغلاً في القدم مع قطع النظر عما يقوله مؤرخو الكلدان الذين  
 يزعمون ان ملكهم بقي ما يزيد على ٤٧٣٠٠٠ سنة وذلك منذ تملك الوروس قبل الطوفان الى  
 سقوط داربوس واضمحلال دولتهم . وقد اشتغل كثيرون من المؤرخين بتدوين تاريخ البابليين  
 والاشوريين ولكن اختلفت فيو مذاهبيهم وتفرقت آراؤهم على انحاء متباينة ولم يكن جهد من عني في  
 كل عصر بتصحيح خطائهم الا عبثاً وضياًعاً وربما كان تصحيح بعضهم مؤدياً الى خطأ آخر واحداث  
 وهم جديد . وما زالت الناس على ذلك الى ان كشفت اخرية مدائن بابل واشور الكبيرة وتوصل  
 الى قراءة الكتابة الاشورية على ما اسلفنا ذكره فتسنى لنا من ثم الوقوف على كثير مما غمض من اخبار  
 هاتين المملكتين وايضاها عن يقين جازم

ومعظم ما ورد في وصف بابل واشور وتاريخها ما هو مدون في مصنفات هيرودوطس اليوناني  
 وديودوروس الصقلي نقلاً عن اكترياس الكندي المقدم ذكره ويروسوس الكلداني . والاولان  
 قدما بابل في اواخر القرون الوثنية وكانت قد انحطت عن مجدها فوصفا ما عابناه من ابنتها ولكن  
 ليس في كلامها ما يُعرف بو اصل سكانها الاولين . على ان الاول منها احق بالثقة من الثاني لما  
 ستعرفه وهو الذي لقبها عاصمة اشور الا انه لم يرد في كلامه شيء عن نينوى ولا عن بانيتها ولكنه اكتفى  
 من تاريخها بقوله انها مبنية على عدوة دجلة . وفيهم من كلامه انه كتب تاريخاً لاشور وبابل لانه يقول  
 ولبابل ملوك كثيرون اذكرم في الكلام على اشور الا انه لم يقع الينا شيء من ذلك ولا عثرنا على  
 نقل منه في كتب المؤرخين فلا يدري هل كتب هذا التاريخ فعلاً ام كان ذلك في نفسه ثم لم يأت  
 له اتمامه . لاجرم انه لو كان موجوداً في ايدينا لاتسع لنا النطاق في معرفة اخبار ملوكهم وعظماهم  
 وفنونهم وعلومهم وعقائدهم وابنتهم ومدنهم الى غير ذلك مما تشوق الى معرفته ونرتاح للوقوف عليه  
 واما التاريخ فجميع كتاباته او معظمها منقول عن مصنفات اكترياس الكندي طبيب ملك  
 فارس التي فقدت في جملة مصنفات قديمة ثمينة . وكان مقام اكترياس هنا في فرسبوليس في بلاط  
 الملك المذكور آنفاً فجمع ما جمعه عن اشهر مؤرخي الفرس ولذلك يرجحه قوم على غيره من المؤرخين

في معرفة حقيقة تاريخ اشور . ومن تاريخ ما رواه ديودورس نقلاً عنه ان اول ملوك اشور نينوس وكان جباراً ابني مدينة على عدوة دجلة سماها نينوى باسمه تخليداً لذكره ثم نهض للفتح فجهز جيشه وزحف به على اقاليم كثيرة فاستفتحها وضرب عليها الخراج . وبعده استبدت بالملك سميراميس زوجته وكانت اول امراء ملكت في العالم وهي التي شادت سور بابل وتدبت لبنائهم ما بنيف عن النبي الف رجل . اهـ

واما بيروسوس فهو كلداني بابلي الاصل وكان كاهن بعلوس وقيل انه كان معاصراً للاسكندر وهو من اشهر مؤرخي الكلدان دون تاريخنا يتضمن اخبار ملوك بابل كافة ولم يقع اليناموس تاريخي سوى بعض روايات مشورة تداولتها السنة العامة وذكرها جماعة من المؤرخين في جملتهم يوسيفوس اليهودي واوسايبوس واكليمندوس الاسكندري وشنسيلوس وغيرهم . وجميع ما اثبتة اخذت عن الواح قديمة كانت في عهده في جملة متعلقات الهيكل قد سطرت فيها اخبار الكون وملوك الارض قبل الطوفان وبعده على ما ستره في موضعه . وخلاصة ما قاله في هذا الصدد ان سكان بابل الاولين كانوا قبائل متوحشة لانظام لعيشتها ولا معارف عندها حتى ظهر اوانس وهو اله على شكل انسان وسمكة معاً خرج اليهم من بحر اريتره فدنهم وعلمهم الادب والفنون وبناء المدن والهياكل . واول ملك ولي امرهم الوريوس وكان كرسوه في بابل وبقيت مدته ٢٦٠٠٠ سنة ثم تعاقب على الملك بعده تسعة ملوك من نساو فساروا سيرته في سن الشرائع والآداب المحدثه وآخروهم يسي اكسيسوثروس وعلى عهده انفجرت ينابيع المياه وغمرت الارض فابادت كل ذي نسمة في الارض من البهائم والطيور والناس كافة خلا الملك ومن معه ضمن الفلك الذي اوحى اليه كرونوس ان يبنيه . ولعل هذا هو عين الطوفان المذكور في كتب قدماء الهنود وقصته اشبه بقصة الطوفان الذي ورد الخبر عنه في الكتاب المقدس حيث اهلك الماء كل حي في الارض ولم ينج الا نوح وعشيرته في الفلك . وذكر بيروسوس انه قام عقب هذه الحادثة ستة وثمانون ملكاً من الكلدان ثم قدم ازدرخت المادي بجيوشه الى بابل فاخذها واستباحها بالنهب سنة ٢٢٨٦ قبل الميلاد . وكثير من هذه الاقوال وما اشبهها وان وثق بصحة بعض من تقدم من المؤرخين مدفوع عند اهل التحقيق على ما اسلفنا ذكره والمعتمد من ذلك كلو الى هذا الاوان ما سنذكره في هذه الرسالة ان شاء الله

تعالى وهو سبحانه

اعلم

## القسم الجغرافي

### ذكر مملكة بابل ومدنها المشهورة

يحد مملكة بابل شمالاً ما بين النهرين وجنوباً خليج فارس وغرباً شبه جزيرة العرب وشرقاً بلاد شوشانة ويمر في أرضها نهر الفرات وديجلة متجهين من الشمال الى الجنوب. وهذه المملكة تنقسم في نفسها الى قسمين احدهما بلاد بابل على الخصوص وهي الواقعة ما بين النهرين المذكورين والآخر بلاد الكلدان وهي ما يليها من ملتقى النهرين الى خليج العجم. وكانت هذه المملكة في قديم الزمان معمورة بالمداين الكبيرة والاسوار الحصينة والتصور الرفيعة والهيكل الشاغرة والابنية المشهورة كما سنورد ذكره حتى كانت تسمى بصيغة المالك الا انه لم يبق من جميع ذلك الا بقايا رسوم يستدل بها على مواقع بعض تلك المدن كدينة بابل وأرك وأكد وكثنة (وهي أور الكلدانيين) وبورسبيا وايس او ابوبوليس وصغيرة وسلوقية واكتريفون وغيرها

ذكر مدينة بابل \* هذه المدينة كانت اعظم مدائن آسية وابعدها ذكراً وارفعا علماً واوسعها ظلاً واكثرها ثروة وعمراناً وامنها عزة وسلطاناً صحبت الملوك دهرًا طويلًا ونقلت في الخصب والدولة امدًا مدبنا حتى لم يكن لها ضريب في جميع المدن التي تقدمتها في تاريخ العمران وبها سميت المملكة ببابل ولذلك يقدمها الكتاب في الذكر على سائر مدن شنعار. وفي تسميتها ببابل اقوال اشهرها انها انما سميت بذلك اخذًا من بليلة الالسنه فيها على ما ورد في سفر التكوين (ص ١١) من ان بني نوح لما ارتحلو من المشرق ونزلوا بشنعار اخذوا في بناء برج يبلغ الى السماء فبابل الله تعالى السنهم حتى صار بعضهم لا يفهم كلام بعض فكفوا عن بناء البرج ولذلك دُعيت المدينة ببابل اه. وهي كلمة عبرانية معناها على هذا البليلة. وفي رواية ان قومًا من الاقدمين بنوا هناك هيكلًا يجلسون ببابه لفضاء دعاوتهم وفض خصوماتهم فسميت المدينة ببابل واصلها على هذا باب ايل اي باب الاله. وقيل اصل اللفظة باب ايل وهو الاله لقدماء الساميين وهو المسمى اشور ايضا الى غير ذلك من الاقوال المبنيه على ما تحمله اللفظة من التفسير والتأويل

وقد اختلفت آراء قدماء المؤرخين في زمن تخطيطها فمنهم من ذهب الى ان بانيتها بعلاوس

وهو زحل عند اليونان وقال آخرون ان أول من وضع أسسها الملكة سميراميس زوجة نينوس وقال ديودورس الصقلي وامبانوس مرشليينوس ان نينوس بنى هيكل بعلوس وسميراميس زوجته بنت اسوار بابل . وهنا بحث هل سميراميس هذه هي نفس سميراميس التي يذكرها هيرودوطس في جملة ملوك بابل فان هذه كانت قبل الميلاد بما ينيف على التي سنة والتي يذكرها هيرودوطس لم يكن بينها وبين الميلاد أكثر من ٨٣٠ سنة لانه جعل بينها وبين نيتوكريس خمسة قرون . والصحيح في ذلك كما قاله بعض الثقات ان لفظ سميراميس انما هو محرف عن سموراميت امرأة بعلاوخوس الثالث على ما سبقت الاشارة اليه وكان مالكا في اواسط القرن التاسع قبل الميلاد فتكون هي المشار اليها في كلام هيرودوطس ويكون ما ورد في رواية ديودورس وامبانوس خطأ . وذهب قوم من قدماء المؤرخين وتابعهم بعض المتأخرين الى عكس ما ذكر وخطأوا مقالة هيرودوطس في كلام قالوا فيه انه اراد ان يجعل بينها وبين نيتوكريس خمسة عشر قرنا فذكر خمسة الى آخر ما اوردوه وهو مرجوح عند اكثر المحققين . وزعم البابليون والقول لكهنتهم الكلدان ان مدينة بابل بناها الله من آلهتهم في زمن لا يعرف بالتعيين . وذهب مؤرخو الرومان واليونان مع الباحثين المعاصرين الى ان بناءها كان عقب الطوفان بزمن يسير خلافا لما ذكره بيروسوس من ان عشرة من ملوك الكلدان تداولوا سلطنة بابل قبل الطوفان

ولم تكن بابل في أول عهد ما عاصمة للملك ولا من المدن الخطيرة كما تدل عليه الآثار التي كتبت في عصرنا هذا جنوبي المدينة فقد ثبت ان مدنا اخرى كآرك وكلنة وغيرها من المدن المشهورة كانت قد بلغت المبالغ العظيمة من العزة والغنى وبابل اذ ذاك قرية ذنيئة . ثم ضرب الدهر ضربات وافضت نوبة الملك اليها في سياق غير معلوم فبلغت من العظمة والشهرة وسمو المنزلة ما لم تبلغه احدى تلك المدن من قبل وجرى فيها من الاعمال العظيمة والانشاءات الجسيمة ما لم يجر في غيرها ولا يزول ذكره على الابد وتحاشدت اليها الجبايات والارزاق وامتدت اليها اسباب التجارات من كل اوب واتسع فيها نطاق الثرية والغنى حتى لقببت بمدينة الذهب

وكان من اشهر ما أحدث فيها من الاعمال المذكورة والعظائم الماثورة هيكل بعلوس والقصر الملكي وحلائقة المعلقة . اما الهيكل فقد ذكره جماعة في جملتهم ديودوروس الصقلي وذكر ان بانية بعلوس وروى غيره انه بختنصر والصحيح ان بختنصر انما جدد بناءه بعد خرابه على ما سنورد تحفيته . وقد عابن هيرودوطس اليوناني مدينة بابل في اواخر القرن الخامس قبل الميلاد وكانت قد انحطت عن عظمتها الاولى ووصف في جملة ما شاهد هيكلا بعلوس بما تلخيصه . ان في كل شطر من شطري المدينة ما يستحق الذكر في احدها بلاط الملك وهو فسج محكم الانتان وفي الآخر هيكل



بعلوس وهو باقٍ الى الآن على شكل مربع طولُه استادنان في عرض مثلها وله باب من الشبه وفي وسطه برج حصين طولُه استادة <sup>(١)</sup> في عرض مثلها وبعلاه برجٌ وفوق البرج برجٌ وهكذا الى ثمانية ابراج بعضها فوق بعض بُرقي الى كلِّ منها بسلاسل من الخارج وفي وسط الابراج مقاعد يستريح فيها الراقي اليها . وفي الاعلى منها معبد وسرير كبير وبجانبه مائدة ذهبية وفي الاخير مسجد لبعلوس يوتير وفيه سرير كبير حسن الفرش وبجانبه مائدة ذهبية وليس فيه صور وتماثيل كما في غيره . ولا بيت فيه احدٌ ليلاً الا ان تكون امرأةٌ وقع عليها اختيار الاله تبعاً لما يقول كهنته الكلدان وعندي ان ذلك كلامٌ لا صحة له . وفي الهيكل مسجدٌ سفليٌ وفيه تماثيل كبير من الذهب يمثل يوتير قاعداً وكرسيه وموطئ قدميه وبجانبه مائدة وجميعها من الذهب الخالص تساوي على قول الكلدان ٨٠٠ زنة من الذهب <sup>(٢)</sup> . وفي خارج هذا الهيكل مذبحان احدهما من الذهب ولا يصحى عليه الا بما كان صغيراً من الحيوان والآخر كبير اعدّه الكلدان للذبايح الكبيرة المألوفة وكانوا يوقدون على المذبح كل سنة في عيد الاله ثلاثة آلاف اقة من الجور . وكان في المقدس اذ ذاك صنم كبير من الذهب الخالص ليوتير بعلوس قاعداً وارتفاعه اثنتا عشرة ذراعاً يصفه الكهنة ولم آره . وكان داربوس بن هتاسب قد هم ان يأخذه عنوةً ثم لم يجترئ على ذلك فاستخوفه عليه بعد ابنه اكرسيس وقتل الكاهن الذي مانعه من الاستيلاء عليه وحمل جميع ما فيه الى خزائن قصره . هذا اخص ما في الهيكل وفيه ايضاً اوان يسيرة . اه . وذكره استرابون المؤرخ بقوله وقرب الحدائق المعلقة قبر بعلوس وهو خرابٌ تام خربة اكرسيس وكان على شكل هرم مربع مبنياً بالآجر علوه استادة واحدة في مثلها طولاً لكل من جهاته . وكان في نوبة الاسكندر ان يعيد بناءه لانه كان قد عزم على الإقامة ببابل وجعلها مباءة له ولاعتابه بعد فعاجلة الامر المخنوم قبل تقرير ما نوى . وذكره دبودوروس في كلام من جمله قوله وشادت سيراميس على هذه الاعمال هيكلًا في وسط المدينة لا تتحقق عنه روايةٌ صحيحة لاختلاف اقوال الكتاب فيهم اجمعوا على انه بناءٌ شاخ الارتفاع في اعلاه مرصداً للكلدان كانوا يرصدون منه حركات الكواكب فيعرفون اوقات طلوعها وغروبها . وهو مبني بالآجر والحمر وعلى اعلاه تماثيل يوتير ويونون وريا وهي مغشاة بالذهب وامامها مائدة مغشاة بالذهب ايضاً وكان عليها اوان وتحت كثيرة انتهها ملوك الفرس اه . ومن الناس من يظن ان هذا البناء الذي يصفه هو برج بابل المعروف الآن ببرج نمرود وآثاره لا تزال بين اخرة بورسيبا على ما سذكره بعد . وقد اثبتوا بعد الفحص المدقق ان ارتفاعه كان ينيف على اعلى رؤوس الاهرام المصرية بمئة قدم واذا كان ذلك صحيحاً فلا عجب اذا احصاه المتقدمون في مجلة الغرائب

(١) قالوا ان الاستادة تكون ١٨٥ متراً

(٢) الزنة في اشهر الاقوال تعادل ٧٠٢٠٠ فرنك فيكون المجموع ٥٦١٦٠٠٠٠ فرنك

اما القصر الملكي فمُنشئُه مختصرٌ وقد ورد ذكره في كثيرٍ من مصنفات القدماء ولا سيما اليونان فانه ما برج عندهم محلاً للعجب والاندهاش بالنظر الى ما كان عليه من السعة والعظمة وغرابة الاتقان وما يليه من الحداثق المعلقة التي عدت في جملة عجائب الدنيا السبع . ومنشئها فيماروي ديودوروس ملك من أعقاب سيرااميس سألته ذلك حظية له من بلاد فارس احييت ان يمثل لها ما في بلادها من الروابي المكسوة بخصرة الرياض والبساتين فامر بانشائها على ذلك المثال . ولذلك جعلها على هيئة سطوح قائمة بعضها فوق بعض وكل واحد من هذه السطوح يتأخر عن الذي تحته على شكل ما يُسمى بالانفتياتر حتى كانت الاشجار عليها اشبه برابية خضراء ذات مروج وخنائل رائعة . وكانت هذه الحداثق مربعة الشكل طول كل جهة من جهاتها ٤ فترات اي نحو ١٢ متراً وكل سطح من السطوح المذكورة يرقى اليه بسلم بينه وبين اندي يابيه والسطوح برمتها قائمة على عمدة وهي مفروشة بصفائح من الرضام طول الواحدة منها ١٦ قدماً وعرضها ٤ اقدام . وهذه الرضام مستورة بخيزران قد غمس في الحمر وفوقه صفان من الاجر المغوس في الجص وفوق ذلك صفائح من الرصاص تمنع نفوذ الماء الى ما تحتهما من البناء اذا سقي ما فوقها من الاشجار وفوق الرصاص التراب المفروسة فيه اشجار الحداثق وهو من الكثرة بحيث يمكن ان تُغرس فيه اعظم سرحة . وكان هذا الموضع كله مغطى بالشجر الختلف والمفروسات الانيقة ذات النشور الثمر . وفي داخل العمدة المذكورة عُرف رائعة الاتقان محكمة الوضع ينفذ اليها النور من خلال العمدة وهي العُرف الملكية . وكان احد العمدة أجوف من راسه الى عقبه وفي داخله آلات ترفع الماء من النهر فتصبه في الحداثق اه . هذه صفة هذه الحداثق في الجملة وقد درستها الايام فيما درستُه من تلك العظام العجيبة فاصبحت تلاً من الحجارة والانقاض

وذكر ديودوروس في جملة ابنية بابل قصرين او قلعتين بنتها سيرااميس على كلٍ من طرفي الجسر الذي ابتنته على النهر فقال بعد ذكر بنائها للمدينة والسورانيها بنت الجسر على اضيق موضع من النهر في طول خمس استادات وقد رفعتُه على قواعد راسخة في جوف الارض بين الواحدة منها والاخرى اثنا عشرة قدماً وشدت حجارتيها باربطة من حديد وعقدت بينها بالرصاص المذاب وزلت نواحيها المعرضة لجري الماء بحيث لا يتمكن منها قوة الماء في اندفاعه وسقفت الجسر بخشب السرو والارز على جوائتر من جذوع التخل وكان عرض الجسر ٢٠ قدماً وهو يعد في جملة ابنية سيرااميس العظيمة . قال ثم بنت على كلٍ من طرفي الجسر قصرًا يشرف على سائر المدينة احدها ينظر الى شطرها الشرقي والاخر الى شطرها الغربي لان المدينة كانت منقسمة كذلك اذ كان النهر يجتريها من الشمال الى الجنوب فكان هذان القصران بمنزلة مفتاحين لشطريها المذكورين وكانا

على اتم صنعة من الاحكام والزخرفة . والقصر الغربي منها محيطة ٦٠ استادة وذلك نحو ١١ كيلومتراً وحوله سور شامخ من الآجر ويليهِ من الداخل سور آخر من اللبن وعليهِ صُور من الحيوان بديعة الصنعة رائعة الاتقان يتخيل الناظر اليها انها حية . وطول هذا السور ٤٠ استادة وثخنة يعادل ٣٠٠ آجرة وارتفاعه على ما ذكر اكتوبرياس ٥٠ أرجية وهي نحو ٩٠ متراً . ثم وُجد امام هذا السور سور ثالث اعلى منه وهو يلي القصر من حوله ومحيطه ٢٠ استادة . وكان على الاسوار والابراج التي عليها صُور من الحيوان في غاية الاتقان وصورة مشهد صيد فيه كثير من انواع الحيوان . وهناك صورة سميراميس على فرس وفي يدها حربة قد طعنت بها نمرأ وبقرته منها صورة نينوس زوجها وفي يده رمح يطعن به اسداً . وكان القصر باب ذو ثلاثة مداخل ووراءه عُرف من الشبه . واما القصر الثاني فكان دون هذا في الرونق والسعة ولم يكن له الا سور واحد من الآجر محيطة ثلاثون استادة وهي نحو ٥٥٢ متراً . وكانت فيه تماثيل لنينوس وسميراميس وجماعة من رجال الدولة والعمال وكلها من الشبه وتمثال يوبتير وهو الذي يسميه البابليون بعلوس . وفيه فضلاً عن ذلك صُور معارك ومصارعات ومشاهد صيد متقنة الوضع محكمة الصنع . وبين القصرين نفق ينفذ اليها من طرفيه احفرته تحت النهر ارتفاعه ١٢ قدماً وسعته عرضاً ١٥ قدماً وسقفه معقود بالآجر في ثخن اربع اذرع مطلباً بالحجر المذاب وثخن الجدار ٢٠ آجرة وأتمته في سبعة ايام . انتهى كلام ديودوروس ببعض تصرف الآ ان اكثر اهل التحقيق على ان باني القصرين هو بختنصر كما تدلُّ على ذلك كتابة له على بعض الآثار لا سميراميس التي نسب اليها ديودوروس جميع ما سوى الحدائق المعلقة من عظام بابل . واخرية القصر الشرقي من القصرين المذكورين باقية الى الآن وفيه كانت وفاة الاسكندر

وبقرب اخرية القصر الملكي آثار مسافتها مئة متر يظنُّ الباحثون انها الحمامات التي ذكرها اربانوس . ويليها على مقربة منها اخرية يقال لها تل عمران وهيئتها اشبه بربوة مصلعة تضليعاً افقياً طولها من الغرب الى الشرق ست مئة وخمسون قدماً الا انها ادنى ارتفاعاً من سائر الروابي التي تجاورها وعليها بقايا ابنية من الآجر . وقد احفر فيها بعض السباح فوجدوا قبوراً مكشوفة في بعضها اكاليل ذهبية حملوها الى قصور الخلف في اوربا . ومن الناس من يظن ان هذه الاخرية هي بقايا الحدائق المعلقة التي مرَّ ذكرها الا ان ذلك ضعيف . اما اولاً فلانه لم ير اسم لبختنصر على بقاياها كما هو دأبه في كل ما بناه ان ينقش عليه اسمه فلو كانت هذه من ابنته لم يتركها غفلاً مع ما هي عليه من العظمة والغرابة حتى كانت تُعدُّ من جملة عجائب الدنيا . واما ثانياً فلان مساحة الحدائق المذكورة كانت ٤٠٠ يرد لكل جهة من جهاتها والاخرية المذكورة طولها ١١٠٠ يرد فيبين المساحين تفاوت بعيد والله اعلم . وفي جملة ما كشفته الباحثون في بابل اثر سور في جانب النهر

قالوا انه السور الذي بناه نبونيدوس ملك بابل وقد ذكره بيروسوس فقال انه يمتد من طرف السور الشمالي الذي دخل منه قورش مدينة بابل الى منفذ الفرات في الجنوب وعليه فتكون مساحة السور مساحة مدينة بابل كلها. والمظنون ان بناءه كان لصيانة الجانب الادنى من المدينة حين طغيان الماء. ووجدوا ايضا آثارا يقولون انها من بقايا الجسر الذي ذكره هيرودوطس ودبودوروس الصقلي وقال قوم انها من آثار الاسوار التي كانت لكل من القصرين على جانبي النهر وكانت بابل هنا مربعة الشكل طول كل جهة من جهاتها اثنان وعشرون كيلومترا. وذكروا ان اول من بنى عليها سورا بلادان الا ان هذا الاسم يطلق على غير واحد من ملوك بابل بعد معرفة زمان كل منهم وتعيين المراد منهم هنا. وفيما قرره بعضهم ان المراد به مرووخ بلادان الذي كان في خلال القرن الثامن قبل الميلاد ويرد عليه ان معظم اهل التحقيق على ان نبويت بيل وهو السور الاوسط بنه سميراميس وكان عهدهما في اواسط القرن التاسع وعليه فيكون السور الاوسط قد بني قبل الاصغر وهو مخالف لمتن النظر اذ السور انما يبنى للاحاطة بالبلد فاذا كان البلد محاطا بسور فلا معنى لبناء سور آخر في داخله. واعلم ان بلادان الذي كان في القرن الثاني عشر قبل الميلاد فقد تحققت من الآثار انه سور بعض مدن بابل والله اعلم. وكان السور المذكور يسمى نبويت مرووخ اي مسكن مرووخ وهو الله لهم مشهور ولعل هذا اصل ما ذهب اليه بعضهم من نسبة بنائه الى مرووخ بلادان للملاسة بينهما في التسمية واثرت هذا السور فيما يقال باق الى الآن وهو لا يحيط الا بقسم صغير من اخرية بابل. ثم انا اذا تتبعنا كتابات الملوك يجتمع لنا عدة اسوار لبابل وذلك ان بعضا منهم كانوا يكتبون اسماءهم على ابنية هذه المدينة ويباهون بانهم قد شيدوا لها اسورا وشيخواها بالقلاع الكبيرة كجنتصر حيث يقول على بعض تلك الآثار اني بنيت امينغور بيل ونبويت بيل سورتي بابل العظيمين مع ان نبويت بيل كان قبل جنتصر بزمن بعيد. ولعل الواقع ان احدهم كان اذا رمى في احد الاسوار موضعا متهدما او بنى شيئا من ابراجه سواء كان هو واضعه ام اصلح فيه شيئا يدعي انه هو بانيه استثناء بالفخر والذكر الدائم. ونبويت بيل المذكور هو السور الاوسط الذي يلي نبويت مرووخ وبانيه في قول المحققين سميراميس على ما مر ذكره ولا يبعد ان تكون هي اسسته وقد تكون رسمته فقط ثم اتمه الملوك من بعدها. وبيل اسم اله آخر لهم ومعنى التسمية مسكن بيل. وارتفاع هذا السور باجماع المؤرخين كان نحو خمسين ذراعا وثلاثة ثمانين ذراعا ومحيطه ٨٤٠٠٠ ذراع وارتفاع ابراجه ٥٠٠ وعشر اذرع ومساحة البقعة التي يحيط بها ٢٨٣٢٠٠ ذراع مربعة. ثم لما اتسع نطاق بابل وكثر سكانها لم يبق موضع لاقامة ابنية جديدة في داخل السور فاخذ الناس بينون في رابض المدينة حتى كثرت الابنية والتفت من حول السور فاخذ جنتصر في بناء سور جديد وراء الاول وسماه امينغور

بيل ومعناه بعل يصون. وكان هذا السور ارفع كثيراً من السور الاوسط الذي هو نيوييت بيل ولكن لا يبق لنا تحقيق قياسه لاختلاف اقوال المؤرخين فيه. والذي يتلخص من مجموع كلامهم ان ارتفاعه كان نحو تسعين ذراعاً وثخنه نحو ٨٥ ذراعاً وان ابراجه كانت اعلى منه بمئة قدم. وكان مكتنفاً بمخندق من جهته ولذلك لما سقط تكوّرت انقاضه في ذلك الخندق وتبدّد ما بقي منها على تماذي الزمان فضل رسمه وعنايته ولم يبق دليل على موقعه الاصل. وقد اورد هيرودوطس ذكره فقال ان السور الكبير يحيط بالمدينة على شكل مربع في طول ١٢٠ استناداً لكل جهة من جهاتهِ ويسمى اميغوربيل بمساحة الارض التي يحيط بها ٥١٢ كيلومتراً مربعاً اه. وكان لامبيغوربيل مئة باب من الشبه وهو ضرب من النحاس الاصفر لكل جهة من جهاتهِ خمسة وعشرون باباً تغلق اذا خيف مهاجمة عدو للمدينة. وكان لهذه المدينة على ما رواه قوم من قدماء المؤرخين اسواق مستقيمة تمتد من كل من هذه الابواب الى ما يقابلها في الجهة الاخرى وبذلك انقسمت المدينة الى ٦٢٥ مربعاً او حواض في كل منها حدائق ومروج فسحة فيها من جميع انواع الاشجار المثمرة واصناف البقول والرباحين حتى قال ارسطاطاليس ان صح ان تدعى بابل مدينة واحدة فاليلوبونيسة باسرها تحسب بلداً واحداً اه. وقد اختلفت الاقوال في محيط السور على انحاء شتى ولعل ما قاله هيرودوطس هو الاصح لما اثبتته كثيرون من ان القياس الذي ذكره له هيرودوطس وهو اربع مئة وثمانون استناداً موافق تماماً لما ذكره بختنصر حيث قال اني قست اميغوربيل سور بابل العظيم الذي لم يسبقني الى بنائه ملك قبلي فكان اربعة آلاف مهرغاغار وهي مساحة بابل اه. وكان اول افتتاح بابل على يد قورش وهو الذي اخذ ابواب السور وجاء بعد داربوس فخرب جانباً منه ويظن ان خراب هذا السور تم في عهد اكرسيس وارتكرسيس ولم يبق في عهد الاسكندر الا السور الثاني المسمى نيوييت بيل. ولعل هذا سبب الخلاف الذي بين هيرودوطس ومن تاخر عنه من المؤرخين لان هيرودوطس لما قدم بابل كان اميغوربيل قائماً فا ذكره من قياس السور انما كان لامبيغوربيل والذين جاءوا بعده لم يروا الا نيوييت بيل وهو اصغر منه فهم انما قاسوا غير السور الذي قاسه هيرودوطس

هذا معظم ما اتصل البنا وصفه من ابنية هذه المدينة وغرائبها وهي قديمة عهد بالخراب فقد ذكر ديدودورس انها كانت في ايامه قد ناهزت الدروس. قال وفي بابل عدة ابنية عظيمة من ابنية الملوك وغيرهم يتعدّر علي وصف ما كانت عليه في ابان امرها لانه لم يبق منها الا بقايا شاخصة ورسوم ناقصة. اه

اما موقع بابل فنجد اجمعت العلماء وارباب البحث على انه المكان الذي فيه تلك الآخرة العظيمة الممتدة الى مدى شاسع قرب مدينة الحلة على مسافة خمسة اميال منها على ضفة الفرات كما

مر ذكره ومن هذه الاخرية يُستدل على ما كانت عليه سالفًا من العظمة والاحكام . ومع انفاهم على ان هذه البقايا هي بقايا مدينة بابل المشهورة فانما هو حكم استدلال وغلبة ظن لا يقين قاطع اذ لم يجدوا هناك ما يقضي بالحزم ولم يجدوا مع ذلك ما يناقض هذا الاستدلال فصارقسماً بمنزلة اليقين . ثم ان معظم هذه الاخرية واقع على ضفة الفرات الشرقية وليس على الضفة الغربية الا جانب صغير . ومن الناس من يقول ان ملوك بابل في ايات امرها كانوا قد حولوا النهر الى وسط المدينة وزينوا جانبيه بالرصف المتقنة فكان يقسم المدينة الى شطرين متآزبين كما اسلفنا ذكره . فلما انقضى امر اولئك الملوك وسقطت دولتهم اخذت المدينة في الانحطاط واطأها عناية المرممين ومال النهر مع كرور الايام الى مجراه الاصلي شيئاً بعد شيء مستعرضاً الى جهة الغرب حتى عاد الى موضعه القديم . ويؤيد هذا القول انا نرى بقايا الشطر الشرقي من المدينة ابيّن آثاراً وأعرّف رسماً حتى ان بقايا الرصيف الذي على ميسرة الفرات لم تنزل الى يومنا هذا واعياها اسم آخر ملوك بابل بخلاف الشطر الغربي فان ماء النهر قد جرف تلك الابنية وترك موضعها قاعاً بوراً . ومما يزيد هذه المدينة غرابة انها مع عظم ابنتها وكثرتها واتساعها كانت تلك الابنية من طين كانوا يخلطونه بالحمر ويصنعون منه قطع الاجر واللبن طبعاً بالنار او تجفيفاً في الشمس وبينونها موضع الحجارة لان الصخر فلما يوجد هناك وبذلك قامت تلك الهياكل العظيمة والاسوار الشائخة والمعاقل الحصينة التي صبرت على مهاجمات الزمان وسطوات الاقدار قروناً متوالية وبعد خرابها بقيت زمناً طويلاً بمنزلة مقلع تنقل منه مواد البناء الى ما يجاورها من البلاد حتى ان سلوقية واكتريفون وبغداد والكوفة والحلة وغيرها من المدن بُنيت من بقايا بابل فضلاً عما بقي فيها من جبال الانقاض المنتشرة في تلك النواحي وخالها بقايا رسوم لا يؤولها الا البوم والغراب . وقد تحققت فيها نبوة رجال الله ولا سيما اشعيا النائل ويكون من امر بابل التي هي بهاء الملك وزينة فخر الكلدانيين كما كان من نقليب الله لسدوم وعمورة فلا تُعمر ابداً ولا ياوي اليها ساكن من بعد ولا يجيم هناك اعرايي ولا برّيض راعٍ سرجه لكن برّيض هناك وحش الصحراء ويأوي بيوتهم اليوم وتسكن هناك رثال النعام وتظفر معز الوحش وتصيح بنات آوى في قصورهم والذئاب في هياكل ترّفهم (١٢: ١٩ الى آخره) . ومدينة الحلة مبنية على آثار اخرية بابل قيل أُحدِثت سنة ١٠٩٢ ميلادية وبانيها صدقة بن منصور . ويستفاد من بعض الكتب انها كانت في اول امرها مقام قبيلة من العرب وهي اليوم قرية دنيئة وغالب سكانها قوم صعاليك وهناك محط للمسافرين من خليج فارس الى بغداد . وفي شمالها الشرقي آثار عديدة يُظن انها من آثار مدينة القوطيين الذين كانوا يعبدون زحل او المريخ . وفي الجهة الجنوبية منها قاعدة صنم كبير يقال انها قاعدة الصنم الذي نصبه مجنصر وهو المذكور في سفر دانيال

ذكر مدينة بورسيبا \* وكان بين اميفور بيل ونيويت بيل موقع مدينة بورسيبا المشهورة . وبورسيبا كلمة اشورية مركبة معناها برج اللغات . ويُستدل من الآثار والتقليد البابلي القديم انه فيها كانت بابل الالسنه كما تشير اليه تسميتها . وتُعرف اخرتها اليوم ببرج نمرود وهي تبعد اربعة كيلومترات عن نهر الفرات وهناك آثار البرج وهي عظمة شاخصه في السماء على شكل هرم . وارتفاعها احدى وستون ذراعاً ومحيطها تسع مئة وثلاثون ذراعاً ومعظمها كأنه تل من الانقاض في غربيه قطعيه من حائط عظيم قد تعاصت على كرور الحوادث يبلغ ارتفاعها سبع عشرة ذراعاً وطولها اثنا عشرة ذراعاً وثخن الحائط اثنا عشرة ذراعاً ايضاً . ويتصل اعلى هذا الحائط بسطح طولاه مئة واربع اذرع . ويُظن ان هذا الحائط من بقايا الهرم الاصلي وارتفاعه نحو سبع عشرة ذراعاً . وكان هذا البرج يُسمى بهيكل عوالم الكون السبعة يعنون بها السيارات السبع التي كانوا يعرفونها وقتئذ كما سنورد تفصيلاً . وزعم قدماء الكلدانيين ان بانيه ملك من ملوكهم وذلك عقب الطوفان بزمن يسير ثم جدد بناءه بمختصر على رسمه القديم كما يتضح ذلك من كتابته له وُجِدَت من عهد قريب . وذلك ان رولسون الانكليزي وجد في اخرية هذا البرج سنة ١٨٥٢ ناجودين من الخرف البابلي فحملها الى دار الآثار في لندرة وكانت على احدها كتابة يقول فيها . انا بمختصر ملك بابل قد جددت بناء الهرم والبرج ذي الطباق . انا ابن نبوبولاصر ملك بابل وادني مروذخ الاله العظيم وامرني بتشييد معابده . ان الهرم هو اعظم هيكل في السماء وعلى الارض وهو مقام مروذخ رب الالهة . وانا جددت مقدسه مكان قرار جلاله بالذهب الابريز وجددت برجه ذا الطباق الذي هو مقر الخلد وشيدته بالذهب والفضه ومعادن اخرى وبالأجر المرصع بالمينا وخشب السرو والارز واتمت زينته . والبنية الاولى التي هي هيكل قواعد الارض القائم بها تذكاري بابل قد اتمتها واقمت اعلاها بالأجر والشبه واما البنية الثانية التي هي هيكل سبعة انوار المسكونة القائم بها تذكاري بورسيبا فكان قد شرع في بنائها اول الملوك ولم يتمها الى اعلاها وبيني وبينه اثنان واربعون زمناً . ثم أهملت دهرًا مدبداً واعيا الملوك الذين سلفوني مقصدهم من تشييدها فاخذتها السيول والعواصف وزرع ززال الارض اللبن وحطم الأجر المطبوخ وانلف ابن الطباق فكان رواي مركومة . فشدد مروذخ الاله الكبير عزمي لاعادة بنائها فأعدتها من غير تغيير في موقعها ولا تعطيل في أسسها . وفي شهر الخنم في النهار السعيد حوطت الطباق من اللبن والأجر المطبوخ بأروقة وجددت السلم المستديرة ونشئت اسمي المجيد في افرز الاروقه وقد اسست البناء وجددته على وفق ما رسمه من ندمني حتى عاد كأنه قد بُني في سالف الازمنة اه . وهذا البرج من اهل ما بناه البابليون واجله خطراً واعظاً شأنًا وكان بمنزلة هيكل سباعي الالهة السبعة التي يلقبونها بسبعة انوار المسكونة وكانت

له سبع طباق كل طبقة منها خُصِّصت بواحد من تلك الآلهة . فأول طبقة منه وهي السفلى كانت لِرُحَل ولونها اسود . والثانية للزُهْرَة ولونها ابيض . والثالثة للشتري ولونها بردقاني . والرابعة لعطارد ولونها ازرق . والخامسة للزئبق ولونها قرزي . والسادسة للقمر ولونها فضي . والسابعة للشمس ولونها ذهبي . وقد ذكرنا ان من الناس من استدلل على ان ببلبة الالسنة كانت في هذه المدينة وهم يقولون ان البرج المشار اليه هو البرج المذكور في الفصل الحادي عشر من سفر التكوين وعلى ذلك تحوّل الحادثة المذكورة هناك من مدينة بابل الى بروسيا . وقد كثرت اقوالهم في هذا البرج وواضعه وعلة بنائه على اتجاه شتى . فذكر يوسفوس ان واظمة نمرود بناه بعد الطوفان ليخبر للناس اليوا اذا حدث طوفان آخر . وذهب غريفل الى ان اول من بناه ملك من اقدم ملوك تلك البلاد اراد ان يكون ذكراً مخلداً للبليلة اي ببلبة اللغات وذكر ان ارتفاعه اثنان واربعون ذراعاً (او مقياساً آخر لا يُعلم ما هو) . وذهب غيره الى انه هو هيكل بعلوس الذي ذكره هيرودوطس وقال انه ذو ثمانية ابراج او طباق بعضها فوق بعض وقد تقدم ذكره . وقال قوم انه كان بناءً عظيماً ذاهباً في العنان استلزم لاقامته عدداً غفيراً من العملة وكان المشتغلون فيه في اول الامر جميعهم بابليين يتكلمون بلسان واحد فاجأتهم الحال لتعجيل العمل ان يستعينوا بعملة آخرين من غيرهم فحشدوا لذلك بنائين ونحاتين من امم مختلفة يتكلمون بالسنة شتى . فلما كانوا في بعض الايام هبت عواصف شديدة فنسفت راس البرج فحجّل لهم ان الآلهة فعلت ذلك وبلبلت السنتم فكفوا عن بنائه وشاع هذا الاعتقاد بين الكلدانيين من ذلك الوقت

ويظهر ان بروسيا في اوائل الاجيال النصرانية كانت معمورة بالابنية والهيكل وقد ذكرها استرابون على حالها الاخيرة فقال ان بروسيا المعروفة الآن باسم بروس هي من المدن المشهورة بنسج الكتان وفي جلة ابنتها هيكلان فاخران احدهما لابوان والآخر لارطاميس اخيه . قال ويكثر في نواحيها الخفّاش وهو اكبر من الخفّاش المعروف عندنا وهم ياكلونه وبعضهم يدخره مقدداً وماروحاً الى حين الحاجة انتهى . وعلى مسافة يسيرة من اخرية بروسيا آثار قديمة العهد جداً وتعرف بابراهيم الخليل وفيها على ما قال كثيرون هياكل آو ونيبيب سمدان ونانا التي ذكر بمنصراًنها من بنائه . وهناك قبة في الموضع الذي يقال انه فيه طرح نمرود ابراهيم الخليل في آتون النار ويقربها ثلثة يبلغ ارتفاعها اكثر من ثلاث وثلاثين ذراعاً وطولها نحو ٤٦ قدماً وهي على ما قيل نفس الهرم الذي ذكره استرابون وقال انه قبر بعلوس وهو غير ثبت . وفي تلك النواحي اخرية كثيرة حفر فيها بعض السائحين فوجدوا تحفاً كثيرة من اوانٍ واجر وغيرها وقالوا ان محيط الآثار فيها يبلغ ميلاً

ذكر سلوقية واكتريفون \* ومن مدن بابل التي اشتهرت في عصر الملوك البرثيين سلوقية



وأكتزيفون اللتان مر ذكرهما بنى الاولى سارقوس وهو احد اعقاب الاسكندر الرومي فسميت باسمه اراد بها مساماة بابل وحط ما كانت عليه الى ذلك الحين من العز والنخامة وجعلها مباءة له فشيّد بها المباني المحافلة والمصانع العظيمة والهياكل المرتفعة وهو الذي بنى سورها فيما يظن فصارت تُعدُّ من المدن الكبيرة بأسية. وكان موقعها على ميمنة دجلة وبقرها على بعد ٤٠٠٠ او ٣٥٠٠ متر عن ضفة النهر المذكور الى الغرب مصب نهر دلاس وهو يصب في دجلة وبين دلاس ونهر عيسى المعروف بالترعة السفلاوية ١٥٠٠ متر. وكانت سلوقية تجاه مدينة اکتزيفون ولم يكن بينهما إلا مياه دجلة. قال بليينوس وكثيراً ما يُطلق على سلوقية اسم بابل وهي الآن مستقلة والشائع ان سكانها ينيّفون عن ست مئة الف نسمة وهيئة حدودها على شكل نسرناشر جناحيه اه. وقد افتتح هذه المدينة فيروس الروماني ودك سورها واخر بها جملة. قال المؤرخ اميانوس مرشليينوس عند ذكر هذه الحادثة لما استعوز قواد قيصر على سلوقية حملوا جميع كنوزها وغنائمها الى رومية وكان في جملة ما نقلوه صنم لابلون اقامة الكهنة وجعلوه في هيكل له في جبل بلاتين. قال وبعد هذه الحادثة بايام رأى بعض الجنود منفذاً صغيراً بين الاخربة فظنوا ان هناك مغارة تخبئوا فيها كنوزاً ثمينة فلما حفروا انبعثت من الارض رائحة كريهة نشأ عنها وباء ذريع ففشا بين الناس ومات به خلق كثير وما زال فاشياً حتى انقضى عهد فيروس وقام بعد مرقس انطونينوس والوباء ممتد من حدود مملكة فارس الى نفس غالبا اه

واما اکتزيفون فموقعها على ضفة دجلة الغربية وهي من بناء الملوك البرثيين واول من شرع في بنائها وردانوس وقام بعد باكوروس فاقام لها سوراً حصيناً وشاد في داخلها ابنية عذبة وكان من اكبر علل نجاحها سقوط مدينة بابل ثم عقبه انحطاط سلوقية عن عظمتها فزاد ذلك في عمارتها وارتفاع شانها. وكانت مباءة للملوك البرثيين فكان لها بذلك المحظ الاكبر وتواردت اليها الثروة والحماة وكثرت فيها المعامل والحصون واسباب القوة والمنعة وتعددت فيها الهياكل والابنية العظيمة اذ كان كل واحد من اولئك الملوك يزيد ما من تلك الابنية ما يفوق به من سلفه حتى صارت بعد حين من اعظم مدن فارس. وما زالت في تلك العظمة والرفعة الى ان زحف عليها تريانوس القيصر الروماني فضرها واستفتحها عنوة واستباحها بالنقل والنهب وكل من تخلف عن طاعتها من اهلها اخذها اسيراً وذلك سنة ١١٥ ميلادية. ثم اقتدى به فيروس فنهض الى سلوقية واخذها على ما اسلفنا ذكره وزحف منها الى اکتزيفون فحما ما بقي من آثارها وردّها قاعاً صنفاً. وبقاياها اليوم تبعد ست ساعات عن مدينة بغداد على مسافة ميل عن ميسرة دجلة. ويقال انه استوف بناء سورها في اوائل عهد النصرانية بدليل ان كثيرين من قياصرة الرومان من كراسوس الى يوليانيوس قصدوها

فجزوا عن اخذها وكاد بعضهم يتفاني تحت اسوارها . وعليه فالظاهر ان الاخربة الباقية منها الآن هي من بقايا تجديدها ومحيطها ميلان . وقد بقي جانب من سورها ظاهراً من بين الانقاض وهو مبني بالآجر الذي يُقَال من اخربة بابل وثخنة بمبادل ثخن الاسوار الكبيرة ويكون ذلك الى ٣٠٠ آجرة . وفي اواسط الاخربة اثر قصر عظيم يقال له سرير ابوان كسرى اوسرير كسرى ويراد به باب النصر وهو من بقايا قصر بناءه احد الملوك البرثيين . ومن الناس من يظن انه هيكل لمعبود الشمس او النور استدلالاً بآثار كشفوه هناك وقال آخرون انه بنية اقامها ملك من الملوك الاوربيين كان افتتح هناك فتوحات فيبني هذا النصر ذكراً له . ومما يكن من ذلك فانه ببناء عظيم واسع قديم المهد من اكثر من الف سنة وهو مبني بالآجر واللبن وقد اصحبت جميع جدرانها ما خلا الشرقي منها خراباً تاماً . وطول هذا الجدار مئتان وسبعون قدماً وارتفاعه ست وثمانون قدماً وفي وسطه قنطرة بليها عقد غوره مئة واربع وثمانون قدماً وارتفاع القنطرة خمس وثمانون قدماً وعرضها ست وسبعون قدماً وثخن جدارها ثلاث وعشرون قدماً . ولهذا الجدار ستة ابواب متنوعة الاشكال في كل شطر من شطريه على جانبي القنطرة ثلاثة ابواب وفيه اربعة صفوف من الكوى غور الواحدة منها قدم في مثلها طولاً وعرضاً يظن الناظر اليها انها مكينات طيور وينبعث الضياء الى داخل النصر من غير هذا الجدار . وعلى مقربة من النصر جامع كبير يزوره مسلمو تلك النواحي وهناك بعض اخربة على شكل نلال لم يتيسر للباحثين الوقوف على حقيقتها . وتعرف اراضي اكرتيفون وسلوقية وما في جوارها بالمدينتين والمدائن

ذكر أور \* واقدم مدن الكلدان أور او أور الكلدانيين كانت في اول امرها دار مملكة وكان بها مقام الكهنة وفيها من الهياكل ما لا نظيره سعة واتقاناً حتى كانت مركز الدين عندهم وهي التي دُعي منها ابراهيم الخليل عم حين امره الله بالهجرة الى ارض كنعان وذلك في اوائل القرن المحادي والعشرين قبل الميلاد . ويستفاد من الكتاب المقدس ان كدرلعومر العيلامي كان مقيماً بها في عهد ابراهيم المذكور وفي الآثار ما يؤيد ذلك وقد عُلِم منها ايضاً ان بعض تلك الهياكل من بنائهم . وفي آثار اخرى ان اورخامس هو الذي حصنها وبنى عليها سوراً ضخماً وجعلها مباءة للملك وذلك قبل عهد كدرلعومر بزمن مديد وشاد فيها هرمًا عظيمًا تخليدًا لذكره يظن بعض الناس انه هو الهرم الذي زعم كثيرون انه برج البلبلة المذكور في الكتاب . وقُرِي على بعض تلك الآثار انه ابني في اور هيكلًا فاخرًا جعله لمعبود القمر وقد كشف الافرنج هذا الهيكل ووجدوا على حائطه منه صورة اورخامس وكتابات بالانم القديم تشهد بانه هو بانو . ومن ملوك اور اسي داجون وتُنسب اليه هياكل بناها لمعبودي الشمس والقمر وفي عهده بلغت اور ذروة العز والشهرة حتى صارت كما في بعض الآثار فريدة

المدن . وكان نقل العاصمة منها الى مدينة بابل في عهد هُورابي ومنذ ذلك الحين استتبَّت في اور  
الراحة والسكينة لخلاؤها عن قلاقل الملك وانحياز من يقصدها بالشر الى مقام الملك في بابل غير  
انه فاءها بعد ذلك ما كان يتوارد اليها من اسباب الغنى والثروة وانتقل كل ذلك الى مدينة بابل .  
وآخر من يذكر من الملوك على آثارها نبونيدوس وكانت وفاته سنة ٥٤٠ قبل الميلاد ولم يكن له آثار  
كما لغيره من سلفه . واور اليوم خراب تام ويعرف موقعها بالمغاور وقد كشف فيها اهل البحث من  
الافرنج قبوراً قديمة العهد جداً وهي في داخل الارض مبنية بالآجر طول الواحد منها سبع اقدام  
في ثلاث عرضاً وخمس سمكاً . ومعظم ما بقي من اضرابها بقايا هياكل اسبن وهو اله لهم سيذكر بعيد  
هذا ولعل ما يجاور اور من البلاد انما سماه اليونان باسم مسيني اشتقاقاً من اسم هذا الاله لكثرة تماثيله  
فيها . اما تسمية هذه المدينة بأور ففيها اقوال اشهرها انها سميت بذلك لخصانتها ومعنى اور الحصن  
وقال آخرون انها سميت بذلك لكثرة هياكل النار فيها ومعنى اور في لغتهم النار ولعله الاصح .  
واور هذه في رأي اكثر المحققين انها كلنة القديمة وموقعها في المكان الذي يقال له المغاور على ما اسلفنا  
ذكره وذلك قرب ملتقى نهري دجلة والفرات . ومنهم من يقول انها مدينة أورفا الحالية استدلالاً  
بقرب موقعها من حران مع تقارب الاسبن وهو منقوض بما اردنا ذكره من شهادة الآثار وقيل  
غير ذلك مما لا فائدة من استيفائه والله اعلم

ذكر مدن اخرى ببابل \* ثم انه ورد في الفصل العاشر من سفر الخلائق ذكر اربع مدن  
في ارض شنعار وهي بابل وارك وَاكَّد وكلنة وان هذه المدائن كانت اول ملك نمرود ولم يذكر ان  
نمرود هو بابلياً ولذا يصح ان يقال انها كانت قبلة وان الطورانيين وهم اول من وفد على مملكة بابل  
هم الذين ابنتوها . والذي ظهر بعد مطالعة الآثار ان هذه المدن الكبيرة ما برحت عواصم لملوك  
تلك البلاد وعلى الخصوص في بعيد الازمنة لانفرادها اذ ذاك بانساع الثروة وكثرة العمران  
وانحطاط سائر المدن المشهورة عما بلغت من المنعة والابهة . وكان فيها مقام الامراء واعيان الدولة  
وكان من نبواً منهم اريكة الملك يجعل سربته في المدينة التي ولد فيها ويسمي نفسه ملك الاقاليم  
الاربعة يعني المدن الاربع المذكورة اشارة الى انها كلها في حوزته وتحت ظله وان لم يكن مقامه الا في  
احدها . ولم تلبث هذه المدن عقب ان بدأ فيها الخراب الا قليلاً حتى صارت قاعاً صافصفاً بعد ان  
خدمها العز نحو عشرين قرناً من الدهر ولم يبق منها الى عهدنا هذا سوى رسوم دوارس لا تزيد  
على معرفة مواقعها القديمة في الجملة . فاما تمييز بعضها من البعض الآخر باسمائها فلم يبق عليه دليل  
وانما الناس يأخذون في ذلك بالظن فمن قائل ان مدينة أرك هي المعروفة اليوم بورقاة او ارقاة  
وموقعها على عدوة دجلة عند حدود بابل وشوشانة . وذهب قوم الى انها هي التي كانت تعرف عند

الاقدمين بايدسا وقيل بل هي أورخوه التي ذكرها جماعة من متقدمي المؤرخين وقالوا انها على نحو اربعين ميلاً من بابل . ولعلّ الصحيح كما قاله بعض المحققين انها كانت في موقع الاخرية المعروفة اليوم بالأراق ومنها اشتق اسم العراق وموقع هذه الاخرية بين مدينة الحلة وملقى نهري دجلة والفرات وجميعها قديمة عهد بالخراب ومعظمها بقايا هياكل لسين وبعض ابنة اقامها ملك من ملوكها كان يقال له سين سيد . وسين عندهم اسم للقمر وكانوا يعبدونه في ارك وما يجاورها ولذلك كانوا يسمون ارك مدينة القمر وكانت له فيها هياكل كثيرة وكان اكثر الملوك الذين تبنوا سربها في ذلك العهد يقرنون اسماءهم بلفظة سين تبركاً كسين سيد المذكور وقمر سين ونارام سين الى غير ذلك

واما أكد فوقها الى الشمال الشرقي ما بين النهرين وهي التي يقال لها نيوراى مدينة الاله الكبير وتسمى ايضاً نيغاراي مدينة اله الارض يعنون به ملك الملوك وذلك لان ملوكها حينئذ كان لهم التقدم على سائر ملوك تلك البلاد . وقد وُفق فيها منقبو الافرنج الى الوقوف على بقايا هيكلين من بناء اورخامس احدهما لاله المجد والآخر ليليت نأوت أم الالهة . وهناك اخرية شتى غير هذين الهيكلين يقولون انها من نحو اربعين قرناً وعليه فيكون عهدها قبل استيلاء العرب على بابل بزمن بعيد وفي جارة ما وجد فيها حلى معدنية ضخمة الاشكال تدل على نقادها . ومن الناس من يزعم ان ارك هذه هي مدينة نصيبين استناداً الى نقلات كانت عند اليهود في ايام ابرونيموس وفي ذلك كله اقوال وآراء شتى لم يصل الى تحقيقها ارباب البحث فنقتصر منها على ما ذكر . واما كلنة فهي التي يطلق عليها اهل البلاد اسم المدينة واكثر المحققين على انها هي أور الكلدانيين على ما قدمناه قريباً في الكلام على هذه المدينة

ومن مدن بابل التي كسفتها المتأخرون مدينة صغيرة ذكروا ان بانيتها الاول اورخاموس وكثير من اخرتها باقى الى اليوم . وقام بعدك ساغركتياس وهو الذي بنى فيها الهيكل العظيم الذي ذكره يروسوس وقال انه مبني في نفس الموضع الذي خبأ فيه اكسيسوثروس حين الطوفان السجلات المسطر عليها تاريخ الخليفة واخبار الايام الاولى واسرار التنجيم والكهانة وغير ذلك . وقد كشف هذا الهيكل بعض سياح الافرنج فوجدوا في جلة ما كان فيه آنية من المرمر الابيض الخالص وهي مزخرفة غاية الزخرفة وعليها اسم نارام سين ومعناه المبتهل الى سين وهو من ولد ساغركتياس مشيد الهيكل المذكور . وقال الباحثون ان الكتابة التي وجدت على الآنية المذكورة هي اشبه بالكتابة الموسومة بها ابنة اورخاموس فاستدلوا بذلك على ان هؤلاء الملوك طائفة واحدة

ومنها مدينة ايس او ابوبوليس وموقعها على الضفة الغربية من النهر المنسوب اليها وهو يدفع في الفرات على مقربة منها . واشهر من ذكرها من القدماء هيروودوطس فقال انها تبعد ثمانية ايام عن

بابل وموقعها على نهر يُسمى باسمها يجر ماؤه كثيراً من الحمر ومنه كان البابليون يحملون الحمر لبناء اسوار مدنتهم اه . وقد دثرت هذه المدينة من زمن مد يد وكان اعظم اسباب خرابها مجاوله امرآه العرب فيها منذ ايام الجاهلية . وعلى موقع اخربتها اليوم قرية حنيرة تُعرف بهيت وفيها كثير من النخل على ضفتي النهر ومن حولها الحمر وفيها ينابيع من النفط قد اشتهرت بسببها . وسكانها يقاربون الف نسمة ومعظم ابنتهم من الحصى المتلاحمة بالحمر واللبن

### ذكر مملكة آشور

آشور بنشد يد الشين اقليم كبير متسع من آسية تُعرف ناحيته اليوم بكرديستان وهو كريم البقعة غابة في الخصب يخترقه انهار اربعة كبيرة احدها نهر دجلة وليس في ذلك الاقليم احسن منظراً منه ولا اقوى اندفاعاً ولا اكثر سرعة في سيره يضاهي الفراف وبعده نهر اربيس ونهر غرغوس ونهر زايس . ويتخلل هذا الاقليم جبال متشعبة واودية كثيرة كانت مشحونة بالبساتين الانيقة والجنات الضيقة الآن اكثرها اليوم قد عاد قفراً غامراً . وكان لآشور من المدن الكبيرة والقلاع المحرزة والضباع الخصبية شي لا كثير جداً وكانت في اول امرها ضيقة البقعة قليلة العمران وفيها ذكره موسى النبي عم ما يستفاد منه ان حدها الغربي لم يكن يتجاوز دجلة وايس في كلامه ما يدل على انها كانت مملكة في ذلك العهد ولكنها عتيب ذلك اخذت تتوسع بكثرة الابنية والسكان ومد العماره حتى بلغ طولها خمس مئة ميل في عرض نصفها فيما يقال على التقريب فتكون مساحة ارضها ما ينيف على مئة الف ميل مربع

وقد خبط المتقدمون في الكلام على آشور خبطاً عجيباً لا يكاد يتخلص منه تحقيق تاريخها . واغرب ما هنالك ان دبودورس لم يفرق بين آشور وسورية لانه يقول في بعض كلامه عن هذه المملكة ما معناه ان نينوس رام ان يخلد لنفسه ذكراً ويصنع ما يعقبه فخراً فاخذ في بناء مدينة كبيرة في سورية يُقر فيها سرير مملكه ويجعلها مباءة له ولا عفا به بحيث لا يكون لها شبيه ولا يُتخيل بناء مثلها على مرّ الاحقاب . فشد اليه العملة والصناع من طوائف شتى وبني أسس المدينة على شكل مستطيل ثم حوّطها بسور اكثر ما يبلغ طوله ١٥٠ استادة واطل ما كان عرضه ٩٠ استادة فيكون طول السور اربع مئة وثمانين استادة . وكان ارتفاعه مئة قدم وثخنه بحيث تجري عليه ثلاث من العجلات صفا واحداً . واتنى على السور بروجاً تبلغ النأ وخمس مئة عدداً وهي تمار السور بمئة قدم وارتفاعها من الارض مئتا قدم . قال ولما اتم نينوس هذه المياني ودعا الناس لسكنى المدينة سماها نينوى باسمه واتنى فيها

خلا الاشوريين وهم اعيان المدينة ام و قبائل شتى تتباين مذهبا ومشربا وما لبثت المدينة الا يسيرا حتى صارت من اشهر المدن انتهى ببعض اختصار . وقال هيرودوطس في وصفه لاشور انها تشتمل على كثير من المدن الكبيرة وان اعظم تلك المدن مدينة بابل وقد اتخذها ملوك البلاد عاصمة لم منذ خراب مدينة نينوى اه . فعند بابل من جملة مدن اشور واجاع المحققين على خلافه ثم ذكر ان بابل انما اتخذت مباءة للملوك منذ خراب نينوى والذي نعلمه ان غير واحد من ملوك الكلدان في بابل وملوك اشور في نينوى كانوا متعاصرين في آن واحد .

واول من ذكر اشور على حقيقتها بطليموس الفلكي المشهور وهو من اعلام القرن الثاني للميلاد . قال يحدّها شمالا القسم المحاذي لجبل نيوانا من ارمينية الكبرى وغربا بعض ما بين النهرين وهو الجهة التي تُسَمَّى بماء دجلة وجنوبا ملكة شوشانه وشرقا ملكة مادي وفيها ثلاثة انهر تنتهي الى دجلة بعد ان تسقي معظم اراضيها وهي ليكوس وكابروس وغرغوس . قال ونقسم اشور الى عدة اقسام احدها ارهابخيتس ثم ابولونيانس وموقعها بين سيتاكيئا وبلاد الغراميين ويليها بلاد السمباطيين ثم بلاد الغراميين وفي جنوبي اذيايينة كلكتينيكي ويليها اقليم اربلة . وقد ذكر كثيرا من مدنها باسمائها مع تعيين درجات طولها وعرضها كنيوس ومردة واكتريفون وغوغاملة واوزابا وسيتاكي وغومارا وابولونيا واسوخيس وغيرها وجملة ما عدده منها اربع وثلاثون مدينة تختلف عظمة وانساعا لكنه لم يذكر بينها راسن ولا اوليبس ولا مسفيليا وقد كُنَّ من اشهر المداين في تلك الناحية فالظاهر انه اقتصر على ذكر المدن التي عاينها بنفسه لان هذا كانت في عهد قد صارت الى تمام الخراب ولم تبقى لها الايام اثرا .

ذكر مدينة نينوى \* كانت هذه المدينة ابعد مدن اشور شهرة واعظها شأنًا حتى لم يكن في تلك البلاد اشد منها سطوة ولا اوسع ثروة وعمرانًا ما خلا مدينة بابل فانها كانت اوسع منها مساحة واضخم اسوارا وافخم ابنية الا ان بلوغ كل منها حد عظمتها لم يكن في زمان واحد لان بابل بلغت مبلغها من العمران والابهة بعد ان اخذت نينوى في التراجع والانحطاط . وكان معظم شهرة نينوى في عصر سنخاريب واعنابو وكانت دار ملكهم ومباءة سريرهم وكانت تساق اليها الارزاق وتحشد اليها الناس من كل وجه والملك يزيد ما جاها وفخامة حتى بلغت من العز والسطوة والغنى ما لم تبلغه مدينة اخرى في ذلك العهد . وما زالت على حالها تلك من الثروة والعظمة الى ان تفرغ اهلها للاندات والملاهي ودبّ فيهم داه الترف وتعمت العيش فزحف عليهم البابليون وافتتحو المدينة ود مروها وحلوا ما فيها من الغنائم والاموال فمادت قاعا صنفصفا . اما باني نينوى فعلى ما في رواية موسى عم (تك ١٠: ١١) انه اشور بن سام وقد بنى مدنا اخرى ذكرها هناك . والاشوريون يزعمون انها سميت

باسم اشور كبير آلهتهم وان هذا الاسم يُطابق بالاشتراك على كل ملك من ملوكهم تبركاً وهم الذين بنوها . وفي كلام بعض الباحثين ان بانيتها اعقاب نمرود ملوك بابل ونواحيها ولم تر ما يؤيد هذا القول وفي الكتاب ما يعارضه بالصريح . وذهب المؤرخون من اليونان والرومان وتابعهم بعض المتأخرين الى ان اول من وضع أسسها نينوس وقد تقدم في ذلك كلام لدودورس والله اعلم اما موقع نينوى فالمؤرخون فيه على اقوال اشهرها ما ذهب اليه هيرودوطس واسترابون من انها كانت على عدوة دجلة شرقاً وهو موافق لما تقدم من رواية موسى عم في الكلام على حد مملكة اشور وهو الصحيح . ولا يعلم من امر مساحتها الا ما ورد في سفر يونان حيث يقول ما صورته ان نينوى مدينة كبيرة لله مسيرتها مسيرة ثلاثة ايام . الا ان في هذا الكلام ابهاماً لا يخفى فلا يدري هل المراد بالمسيرة طول المدينة كما هو المتبادر ام محيطها ام المدة التي تُقطع في مطافها كما قال بكل جماعة من المفسرين . ولا يخفى ان الاول فاحش جداً ولم يُنقل فيما علمنا ان مدينة بلغ طولها هذه المسافة والاخير بعيد عن ان يكون هو المراد لقلة جدواه في تقدير المساحة فلعل المقصود هو الثاني والله اعلم

ثم ان الذي يتحقق من التاريخ ان نينوى لم تكن داراً للملك قبل الالف قبل النصرانية وكانت قبلها مدينة راسن هي اعظم مدينة في اشور كما يستفاد من سفر التكوين من الموضع المشار اليه قبيل هذا . وقد خربت نينوى مرتين عن آخرها المرة الاولى سنة ٧٨٨ قبل الميلاد على يد ارباش المادي وبعليزيس الكلداني وكانت بينها محالفة فزحفا عليها مجيوشها والمالك فيها يوم ذاك سردنابال وكان ملكاً جباناً واني الهمة ضعيف الراي منقطعاً الى مجالسة النساء وسماع الاغاني . فلما طرقت خبر العدو وابعالم في ارضه افاق من لهو فحشد لهم وخرج عليهم مجموعته والنم القتال بين الفريقين فكانت الغلبة في اول الامر لاشور ثم كانت الكرة للعدو فظهروا عليهم ودارت في الاشوريين رحى القتل فابادوا منهم خلقاً كثيراً خلا من اسروه . فنكص سردنابال على اعقابيه حتى اتى المدينة فدخلها بمن معه واعنصم بها وجد العدو على اثره فحصره بها زمناً مديداً تواترت فيه الحرب بين الفريقين وقُتل من الجيشين عدد لا يحصى واجلت العاقبة عن قهر سردنابال فدخل العدو البلد واسرفوا في القتل والنهب واستباحوا كل من صادفوه بجد السيف . فلما رأى سردنابال ما حل به وبقومه جمع حطباً واتى عليه امتعته وامواله وجواهره واضرم فيه النار ثم دخل هو واولاده ونسائه في جوف اللهب وتبعه من يتصل به من رهطه وحشمه فكان آخر العهد بهم . واثنى العدو على المدينة بالاحراق والتخريب ولم يخرجوا منها الا وقد غادروها ركاهماً

وبعد مضي ما شاء الله من الزمان انتعش الاشوريون من كبوتهم تلك ورجع اليهم ملكهم واستقلواهم وعادوا فرموا مدينة نينوى وردوا اليها سرير الملك الى ان قام سنخاريب الذي سبق الاماع الى شيء

من شأنه فزادت بو نينوى عزّة وفخامة وتناهى حالها في الجلالة . وله على بعض الآثار هناك ما معناه اني قد اعدت بناء جميع عظام نينوى دار سلطنتي ومستقر ملكي وجددت شوارعها القديمة وما كان منها ضيقاً وسعتته وحولت المدينة من ساحة الخراب الى مثل بهاء الشمس اه . وكان لسفاريب قصر في وسط المدينة بناؤه له وان يخلفه على سر بر اشور وكان من احسن ابنية نينوى بهجة وزخارف وانها احكاماً واوثقها مائة قد افرغ فيه البناؤون جهد صناعتهم وسقته بخشب السرو والارز . ولما فرغ من بنائه امر ان ينقش على احد جدران ما مفاده ان هذا النصر سيصبح حيناً قديماً العهد جداً فياخذ منه كرور الاحقاب ويغيره توالي العصور فانقدم الى من يتولى عهد هذا الملك من بعدي ان يعنى بتجديد ما برث من بنائه ونعمه ما فيه من الصور والمشاهد واناشده ان يطرس على جميع الكتابات القام بها تذكاري كلما طمس شيء منها اعاد رسمه . اقول طوبى لمن ياتر بهنا وعليه رضوان اشور وعشتار الالهين العظيمين والويل لمن نبذ هذه الوصية ظهرياً واشور ربي جل جبروته ينزل به ضرباته الشديدة وسخطة العظيم ويخلفه عن ملكه ويحطم صولجانه ويسلبه سلاحه . انتهى

واستمرت نينوى على حالها تلك من علو الشأن ونفوذ السطوة الى ان خربت المرة الثانية سنة ٦٠٦ قبل الميلاد وقيل سنة ٦٢٥ على اختلاف سنورد تحقيقه فيما بعد . وخلاصة ما كان من خبرها انها لما امتدت شوكتها وقوي عضدها كانت الواقعة بينها وبين الماديين لما بين الفريقين من الحزازات القديمة فقهرتهم وضربت عليهم الجزية فكانوا يحملونها كل سنة الى نينوى . فكان ذلك في انفس ملوك مادي الى ان افضى امر الملك الى كيا قصر فعزم على مناهضة الاشوريين وبعث الى نيوبولاصر ملك الكلدان يستجيش به ويذكره ما بين اسلافها من الولاء على ما سبق ذكره . فاجابه نيوبولاصر بالرجال والاهبة وحشد كيا قصر قومه ونزل على نينوى فحاصرها وعلى سربرها يومئذ اساراقوس فضايفة اشد المضايقة وقويت صدمته لها فاستفتحها عنوة واعل فيها السيف والناس وقتك في اهلها فتكا ذريعاً فكثرت فيهم القتل والسبي والنهب وانتشر الخراب في المدينة اياماً متوالية حتى دكت عن آخرها دكة واحدة وعادت كأن لم يسبق بها عهد وفر من افلت من الاشوريين فتشتوا في الآفاق ولم يجتمعوا بعدها . واما الملك فكان من امره انه لما رأى العدو في المدينة اشفق من وقوعه في ايديهم والتنكيل به فقتل نفسه بسلاحه وانقض مذ ذاك ملك اشور آخر الدهر

هنا جملة ما انتهى اليه اهل البحث من وصف هذه المدينة العظيمة وان هو الا وشل من بحر اوئمد من قطر وقد بقي وراء تلك المشاهد الخربة والمناظر الموحشة من العظمة والاقطار والحكمة والثروة والعزة والجمال والبراعة والانقان ما لا يعلمه الا الله تعالى وحده . واغرب ما هنالك ان هذه المدينة مع كل ما بلغت اليه وان عزها من الشهرة والفخامة لم يذكرها احد من متقدمي المؤرخين ولم تلبث بعد



خرايها ان صارت نسيًا منسيًا حتى ذهبت عنا جميع اخبارها واصبحت معرفة احوالها موقوفة على توهم تلك الجاهل واستنطاق صداها . وقد عابن زينوفون تلك الاراضي بعد خرايها بقرنين ولم يحك شيئًا من وصف ما رآه من نينوى وكنا مورخو الاسكندر لم يوردوا لها ذكرًا مع انها كانت قبلهم بزمن يسير من اعظم مدن العالم . وفي الجملة فانه لم يُعلم احدٌ نقل عنها شيئًا قبل القرن العاشر للميلاد وأول من وصفها بنيامين تودالوس اليهودي وقد قدم الموصل فروى عنها وعن الآثار التي شاهدتها اذ ذاك كلامًا طويلًا يقول في جملته والموصل التي كانت قديمًا تُعرف باشور الكبرى هي اعظم مدينة بفارس يسكنها سبعة آلاف من اليهود او يزيدون قليلًا وهي مدينة ذات جمال وسعة موقعها على عدوة دجلة وهو الفاصل بينها وبين نينوى . قال ونينوى هذه مدينة قديمة قد آلت الى تمام الخراب والى الآن آثار سورها ظاهرة وهو مناظر الدروس والاتحاء وهناك آثار عديدة للاشوريين اصحابها يُستدل بها على انها كانت من العزة والحسن بمكان اه

ويُعرف موقع نينوى اليوم بقيونجك وهو اسم نلٍ هناك يبلغ محيطه ٢٥٦٢ يردًا وارتفاعه ٤٢ قدمًا وحواليه اخرية مبثوثة على مدى متسع يحيط بها اترسور يبلغ طوله من الغرب ٢٦٠٠ يرد ومن الشرق ٢٥٠٠ يرد ومن الشمال ٢٠٠٠ يرد ومن الجنوب ١٢٧٠ يردًا . وعلى طول الجهة الغربية منه اترسورين آخرين يليان السور المذكور من داخل ولا يري ذلك في الجهات الثلاث الأخر وهو من جملة تلك الغرائب . وأول من احترف في قيونجك رجلٌ من الفرنسيين يقال له بوتنا كان متوليًا الفنصالية الفرنسية بالموصل وذلك في اواسط القرن الحالي على ما سنذكره قريبًا . وجاء بعد اللورد لايرد الانكليزي فامعن في الحفر والبحث زمانًا وكان في جملة ما كشفه قصر سنخاريب المقدم ذكره وهو بناء كبير بُعد في جملة عظام تلك الاعصار حتى يقال انه لم يكن اعظم منه الا ما اشتهر من ابنة بابل وقد بلغ طول حجرة فيو مئة وثمانين قدمًا . وكان هذا القصر مزينًا بجميع ضروب الزخرفة وفيه كثير من تماثيل الثيران ذات الرؤوس البشرية يبلغ طول الواحد منها نحو عشر اذرع وهناك صور عديدة ومشاهد صيد وغيره انيقة الصنعة . وابدع تلك الصور شكلاً واكملها صناعة صورة سنخاريب وبجانبو رجال من بني اسرائيل ينكل بهم وصورة اخرى تمثلة على عرشه وهذه حملها الانكليزي الى لندرة . وبعد انصراف لايرد من هناك جاء لوفتس الفرنسي سنة ١٨٥٤ فكشف اشياء اخرى اجلها قصر لسردنابال الخامس المعروف بأشور بنيبال وجد فيه تحفًا كثيرة فخل منها جانبًا كبيرًا بقصد ارساله الى باريز فسقط منه في دجلة ولم يسلم الا اشياء قليلة في جملتها صورة سردنابال المذكور صاحب القصر وقطع من الأجر عليها كتابة بالفلم المساري

ذكر مدينة خرساباد \* وما اشتهر من مدن اشور خرساباد وكانت تُسَمَّى بصار بوكين وهي

اليوم قرية دنيئة من كردستان وأكثر سكانها عرب وإكراد . وكانت هذه المدينة ومدن أخرى من اشور قد عفا رسمها وذهب أثرها تحت الردم والانقاض من نحو ألفي سنة حتى قدم الموسيو بوتنا المشار اليه قبيل هذا وهو أول من كشف هذه المدينة . وكان في جملة ما كشفت فيها قصر لسرجون ولي عهد شلمنصر الرابع وحواليه ابنية أخرى تُعزى اليه وهي على ستة عشر كيلومتراً من نينوى الى الشمال الغربي . وفي اواسط تلك الابنية رابية مصنوعة على نحو الرابية المأس عليها هيكل سليمان عم وفي قمة الرابية سطح مربع طول كل من جهاته ٢٠٠ متر وعليه بنى القصر وحوط الرابية بسور لكل من جهاته ١٩٠٠ متر طولاً . وكان للقصر باب كبير يُدخَل اليه من الخارج وعلى كل من جانبي الباب ثور هائل له رأس بشر وسائر الباب مزين بكثير من ضروب النقوش وعجائب الاشكال والتصاوير . وبجانب الباب من الداخل سلم طويلة يرقى منها الى سطح القصر وهو شاهق في الجح مشرف على جميع ما هنالك من الضواحي ليس في تلك الناحية كلها احسن منه مطلقاً ولا ابعد مدى الناظر . وقد بقي من زخارف القصر في داخله وبديع نقوشه واشكاله ما يدل على انه كان من الجمال والاتقان بمكان لا يناديه كثير من ابنية تلك الاعصار وآثاره الى الآن لا تزال آمل وأبين من جميع ما شوهد من الابنية الاشورية ولم يبق في شيء منها ما بقي فيه من الادوات والمناظر المشخصة كثيراً من شؤون اهلها . وبجانب القمة التي عليها القصر قمة أخرى ادنى منها ارتفاعاً واصغر حجماً عليها بناء آخر تابع للقصر وهذا البناء ينقسم الى قسمين . فصار جملة القصر وما يليه ثلاثة اقسام احدها وهو القصر المذكور بلاط الملك وبنائه من الآجر وفي داخله حجرات فسحة يبلغ طول الحجرة الواحدة مئة وست عشرة قدماً وكلها مزينة بالنقوش والصور والآنية الذهبية والفضية والعاجية والخزفية والتروس والسيرف وكثير من الاسلحة المتنوعة والادوات المصنفة والتحف الجليلة والبقايا الثمينة . وهي ست حجرات من هذا النمط وعلى جدرانها صور من الانسان والحيوان مختلفة الحركات والهيات فمن ملك وجنود وجبابرة ومعارك وحصارات وفتوحات ومن قاتل اسداً ومساوياً ومجهزاً على عدو وذابح ذبائح وساجد للالهة ومن عساكر يخرجون في القتال وقتلى يفاسون الترع وغير ذلك مما يطول شرحه ولا يسعنا بسط العبارة فيه وكثير من هذه الصور ما برحت الى اليوم على الوانها الاولى وذلك شاهد يؤيد صحة ما نقله ديودورس عن اكترياس من بقاء الالوان فيما شاهد في بقايا بابل على ما اسلفنا ذكره . وهناك وجد عرش الملك مرصعاً بالعاج وغيره من الجواهر الكريمة . والقسم الثاني وهو شطر البناء الاصغر المبني على القمة الاخرى دار الحرم وفيه ثلاث حجرات فقط الا انها اكمل انقائاً من حجرات البلاط واهي زينة واكثر ادوات وامتعة وقد وجد فيه سباح الافرنج من الذخائر والنفائس ما يجلب عن الوصف ولا يتقوّم بشئ . ويصل بين هذا القسم وبلاط الملك سرب تحت الارض ينزل فيه الملك

اذا اراد الانضاء الى دار حره . والقسم الثالث متصل بهذا القسم مبني على الناحية الاخرى من القبة المذكورة وهو على شكل القسم المقدم وفيه حجرة تقيم بها الحشم والمخدم ومن حولها مساكن بعضها للعبيد وبعضها للكرام والسائمة . وبين دار الحشم والبلاط رواق طويل وهو غاية في الاتقان والزخرفة وفيه وجد الفرنسيس النفائس التي استصحبها سرجون الملك بعد فراغه من فتوحاته وكاثر بها سائر الممالك . ووجدوا هناك ايضاً كثيراً من الآنية والجفان والادوات المختلفة فخلوها الى باريس ولا تزال هناك الى هذا اليوم . وفيما يلي دار الحرم اخرية على شكل هرم من الرفات ذكر بعضهم انه كان مدفناً لاحد ملوك اشور قصد به محاكاة الفراعنة المصريين ونقيل اهرامهم وذهب آخرون الى انه المرصد الذي ذكره سرجون غير مرة وقد تبينوا بعد البحث انه كان مبنيًا من سبع طباق تعلو بعضها بعضًا في العنان كل واحدة منها اصغر من التي تحتها حتى ينتهي الى السابعة وهي اصغرهما . وقالوا انه كان لكل طبقة لون يخالف الوان البقية وكل لون لاله من الكواكب وكانت اول طبقة لزحل والثانية للزهرة والثالثة للمشتري والرابعة لعطارد والخامسة للمريخ والسادسة للقمر والسابعة للشمس ولجميع هذه الطباق قياس واحد في الارتفاع وان كانت تتفاوت اتساعاً على ما قدمناه . وكان هذا البرج اشبه ببرج بورسيبا الذي ذكره هيرودوطس على ما اسلفناه هناك . قالوا وكان المرصد في اعلى تلك الطباق فيكون له طبقة ثامنة وكان الاشوريون يرقبون منه حركات الكواكب لمعرفة السعد والنحس وغير ذلك على ما كان من اعتقاد المتقدمين

ذكر مدن اخرى بأشور\* ومن شهر اخرية اشور الموضع المعروف بنمرود وهو كالمح القديمة على ثلاثة كيلومترات من عدوة دجلة الشرقية وبينه وبين خرساباد ما ينيف على اربعين كيلومتراً ويليو بسيطاً من الارض ينتهي الى الموصل ومسافته نحو تسعة كيلومترات . وليس في هذا الموضع اليوم الا انقاض قد تراكت امثال الجبال وبينها بقايا قد شخصت رؤوسها في الجوّ بظنها ارباب البحث مرصد كانت لهم برقبون منها النجم على نحو ما تقدم قريباً . وفيما اورده بعض المؤرخين ان نمرود هذه كانت دارا الطائفة من الملوك في غابر الدهر وكانت ذات عزٍ ومنعة وآثار ذلك فيها الى الآن . وقد وجد بين اخرتها اسم نبوزكيوكين وابنه مرووخ موبازا وها فيما قاله بعضهم من ملوك الاشوريين وقال آخرون انها من الملوك الذين مردوا على اشور وخلصوا طاعتهم واي كان من القولين فهما قديما العهد جداً

واول من احضر في نمرود اللورد لايرد الذي تقدم ذكره فاستبان آثار قصور حجة محكمة الصنعة مزينة بالنقوش وعجائب الاشكال وصور الملوك والآلهة واحد منها يعزى الى سردنابال الثالث المعروف باشور نرربال وكان في خلال القرن العاشر قبل الميلاد وآخر ينسب الى اشور بانيبال

ابن اسرحدون الذي قام بالملك بعده وكان في منتصف القرن السابع. وها قصران ضخمان بروعان الناظر عظمة وانقاناً والثاني منها اوسع بنية واتم روتناً في نظر المتأمل وكلاهما مشحونان بصور الناس على اختلاف حركاتهم وملابسهم ومشاهد الصيد والمعارك وصور الآلهة والملوك وتماثيل الحيوان ما بين اسود وذئاب وانمار وبنات آوى وابرة وثيران وشباه الى غير ذلك ما يطول وصفه . وفي قصر اشور بانيبال منها وجد الافرنج مكتبة جامعها اشور بانيبال صاحب النصر فاحتلواها الى اوربا وفيها كثير من بيان تاريخ هذا الملك واعماله على ما هو معلوم من داب اولئك الملوك ان يدونوا حوادث عهدهم في سجل مخصوص يكون في بلاط الملك تتسلسل فيه مآثرهم واخبارهم فتبقى على غابر الدهر . واما القصر فلولم يظهر من آثار نمرود غيره لكنني معجزة بقف عندها المتأخرون موقف الحائر لما هو عليه من احكام البناء وجمال الصنعة وما برح كل من رآه يدعش لغريب هندسته وما فيها من الدقة والتناسب البديع وهو الشاهد على ان الاشوريين كانوا في ذلك العهد قد بلغوا قمة نجاحهم وتوسطوا باحة علومهم وصنائعهم . وفي هذا القصر غرفة يبلغ مداها ١٤٠ قدماً يتبين من الأدلة انها كانت مخصوصة للملاعب النساء والدعوات الحافلة . اما الاصنام والصور التي وجدت في نمرود فشيء كثير جداً منها كبيرة ومنها صغيرة ومعظمها متقن الصنع ومنها اكثر التماثيل التي في اوربا على ما شهد به الاستفراء . ومن ذلك تماثيل اشور نرربال المذكور واقفاً في طول متر وقد اخذ باحدى يديه منجلاً وبالاخرى عصا وفي صدره كتابة تبين عن امره وسنورها في الكلام عليه . وتماثيلان كبيران لبوعملها بعلوخوس الثالث وعليها اسم سورا ميت زوجته المعروفة بسيراميس وها الاثران الوحيدان الموسومان باسمها . وفي نمرود ايضاً مسلة صغيرة نصبها شلمنصر الثالث ابن اشور نرربال ونقش عليها صورته وصوراً اخر من الناس والحيوان وذكر فيها بعض فتوحاته على ما سيجي ذكره وهي مربعة الشكل مخروطة ذات قاعدة عريضة واعلاها ينتهي الى نقطة

ومن مدائن اشور غوغاملة وصفها استرابون في كتابه فعدّها من اشهر الامصار الاشورية قال وفيها كانت الواقعة المشهورة بين دارا والاسكندر وكانت العاقبة للاسكندر وبها انقضت دولة الفرس الاولى فلم تعد آخر الدهر . قال ومعنى غوغاملة مناخ البعير سماها بذلك داربوس بن هستانسب حين قفل من بلاد التار وكان قد قصدتها غازياً فتوغل فيها واشحن في اهلها وافتتح الامصار وخرّب المعامل وانتسف الحصون وعاد بالغنائم والسبي ومعها الابعة فحمل المتاع . فلما تطاول به السير ماتت الابعة في الطريق وكان آخرها لك منها في بطائح غوغاملة فسماها بهذا الاسم فبقي ذكراً لغزواته تلك على الابد . انتهى بتصرف

ومن مدائن موغاملكة واربله وكانت الاولى مدينة حصينة ذات سور متين وفيها الابنية الرائعة

والهياكل الشاغمة واعظها هيكل كان مبنياً على قارة واحدة يعدونه من عظام البنيان. وخربت هذه المدينة في سنة ٢٦٤ قبل المسيح قصدها بوليانوس الروماني فحاصرها في جيش كثير وكانت الحرب في اول الامر سجالاتم اشتد عليه اهلها فاهلكوا من جيشه خلقاً كثيراً ومالوا عليه ميلةً شديدة حتى كادت العاقبة تكون عليه. وفي تضاعيف ذلك وفدت عليه الوفد من اصحابه في نجدة وعدة فشدد الحصر على المدينة حتى تمك اهلها واستحوذ عليها عنوة وحاز منها الغنائم وما برح عنها حتى غادرها قاعاً صفيصاً. واما اربلة فكانت من المدن الكبيرة وكان ابان شهرتها ومبلغ عمراتها في عهد الفرس الاولى وتنسب اليها الواقعة التي جرت في غوغامة سنة ٢٢١ بين دارا والاسكندر على ما مر ذكره فيقال لها واقعة اربلة. وهذه المدينة تنقسم اليوم الى قسمين متميزين احدهما اربلة القديمة وهي مبنية على رابية هناك وعليها سور قد ذهبت به الغارات والايام ولم يبق منه لهذا العهد الا آثار. والآخر اربلة الحديثة وهي مبنية في السهل عند سفح الرابية يسكنها قوم من الاكراد ينتمون في قول بعضهم الى الكلدان وهم زهاء التي نفس. وقد ذهب عنا معرفة ما كانت عليه هذه المدينة في عهدنا الاول ولم يبق في آثارها ما يسفر عن امرها بيد ان الناظر الى ما بقي منها في الجملة يتبين انها كانت من المواضع المحصنة ذات الثروة والعمران وبها اليوم منارة ذاهبة في السماء بانيتها فيما يقال واحد من خلفاء الاسلام

وعلى بعد خمسة وعشرين ميلاً من جنوبي اخرة خرساباد اخرة كالح شرعات وهي غير كالح المقدم ذكرها المعروفة اليوم بنرود. وهذه الاخرة على شكل اخرة نرود وخرساباد وبها تل من الانتقال محطة ٤٦٨٥ بردا انكليزياً وحولة بقايا سور محكم الوضع قد بني من حصي النهر. وهناك وجد الافرنج تمناً لاشلناصر الثالث احد ملوك اشور وكثيراً من المدافن المصنوعة من الرخام وفيها كثير من العظام بينها حلي من المعدن. وهذه المدينة هي المعروفة باسم ابلاصر وكانت مباءة لملوك اشور دهرًا وفيها بني اسي داجون الهيكل المشهور لاواثس. ولا يزال فيها الى اليوم تمثال لملك من اشور قديم العهد الا انه ناقص لاراس له ولا عنق وعليه لباس ضاف من كتفيه الى الارض وتحت قاعدة عليها اسمه واسم آبائه

والى شرقي بغداد على اربعة اميال منها وستة اميال من نهر الفرات على ميمنة التربة السقلاوية اخرة قديمة العهد مبنية بالآجر على شكل هرم يسميها الناس ببرج نرود وبعضهم ببرج بابل وهي غير البرجين المقدم ذكرهما وكان اسمها الاول اكركوف على ما اثبتته نيبوهر السائح الدنركي. واجرؤها مربع يبلغ ثخن الواحدة منه ثلاث اصابع وطولها ثلاث عشرة اصبعاً في عرض مثلها وهي مرصوفة بالسياب وبين كل سبعة سيفان من الآجر عرق من الخيزران او الآباء ليسك البناء ان يتصدع

على مرّ الأزمان . وفي اعالي هذه الأخرية ثقب كثيرة تمتد امتداداً افقياً وبعضها تذهب عمودياً ولها ما يشبه ان يكون باباً ولكنه عال جداً لا يُبأغ اليه الا بعد عناء وجهدٍ عنيف لصعوبة المرتقى وتضاريس البناء . وطول هذا الموضع يبلغ ١٥٨ قدماً انكليزية وعرضه ١١١ قدماً وارتفاعه ١٢٩ قدماً . وهذا الارتفاع في رأي بعض الباحثين هو ارتفاعه الأول لم يطراً عليه نص بدليل التراب المتلبّد في اعلي البرج حتى صار في صلابة الحجر . ومنذ قرون قريبة سؤل الغرور لقوم من العرب ان يهدموا هذا البرج لظنهم ان هناك كنوزاً وان الموضع انما كان مدفناً للملوك فشرعوا في اسباب الهلهم وقوضوا صفحين من البرج حتى انبت الآجر في جميع تلك الناحية وكان منتهى عملهم النشل والرجوع بالخمبة بعد ان وهت عزائمهم وايقنوا بكذب آمالم فلم يكن لجهدهم من معنى سوى انهم شوّوا هذا الاثر الجليل وتركوه ينادي بجهلهم وعجزهم . وقد عني السياح المتأخرون بالبحث والتنقيب في آثار هذا البرج غاية ما استطاعوا لعلمهم يجدون فيه شيئاً من الكتابة الاشورية فلم يروا من ذلك شيئاً ولعلّ هذا هو السبب الذي حمل بعضهم على نسبة بنائوه الى احد خلفاء بني العباس على ما اشترنا اليه قبيل هذا لقرب موقعه من دار ملكهم . وهناك مذاهب اخرى لم لا يتأتى الترجيح بينها لرجوعها الى الرجم بالغيب وعدم استنادها الى دليل يبين . فمن قائل انه هو برج بابل المشهور وليس بشيء لان ذلك يلي دجلة وهذا يلي الفرات . وقالت جماعة انه كان مدفناً لاحد ملوك اشور وفي بعض الروايات ان الاشوريين كانوا قد بنوه مرقباً لرئيسهم وكان اعلى ما هو عليه الآن ليتمكن مد البصر منه الى مدى بعيد . وقال آخرون انه كان مرصداً لهم يرصدون منه النجوم . وذهب جمهور اهل الجغرافية الى ان موقعة هو موقع مدينة اكد التي مرّ الكلام عليها . وخالفهم قوم فقالوا هو موقع مدينة سيناتي وذهب غيرهم الى غير

ما ذكر وعلم الله وراء ما نعلم وهو

بكل شيء

محيط

٢

## القسم التاريخي

### الكلام على سكان بابل الاولين

قد اشرنا فيما سلف الى ما وقع من الوهم والشطط في تاريخ البابليين والاشوريين وما كان من مبادئ امرهم وان معظم ما دب في تاريخهم من فساد الروايات وتعارض الانبياء انما نشأ من قبل كتاب الفرس وعنه نقل اليونان ما نقلوه من الاخبار المدخولة والاقاصيص الموضوعة . وكانت بابل فيما تقدم من تاريخها مجتمعا لام من الناس واجيال شتى قد تباينت اصلا وعادات وكان الملك يخاطبهم بقوله ايها الشعوب والامم والالسنة على ما هو وارد في سفر دانيال عم (ص ٢) . وكان لكل من اولئك الاجيال سير واحاديث يروونها فيما بينهم ويتناقلون بها خلف عن سلف بعضها له اصل كالنواة من الشجرة وبعضها مخلق راسا وشاعت هذه الحكايات بينهم حتى تاصلت في اذهانهم ومرور الايام يلقي عليها ظل الصدق وروني الصحة حتى اعتقدوها من الامور الواقعة ودونها مورخو الفرس في مصنفاتهم على ما قدمناه واثبتوها فيما اثبتوه من وقائع تاريخهم فالتبس صحيحة بفاسده وكثرت فيه الخرافات والاساطير وذهب فيه الخلل كل مذهب . ذلك مع شدة امعان اولئك الاقوام في القدم وكثرة ما لهم من الدول والانقلابات والوقائع والاخبار المختلفة والاحوال المتشعبة مما افضى الى اضطراب في تاريخهم وارتيابك لا مزيد عليه والجا اهل البحث الى معالجة الحرف المساري ومزاولة قراءته حتى وقفوا الى حله فوجدوا كثيرا من تلك الحقائق مسطرا على الآثار من الحجارة والآجر وغيره وحينئذ انجلي لهم كثير من تلك الغوامض على ما اسلفنا ذكره . ومع ذلك فان هذا الفوز العظيم والفتح الجليل لم يكن وافيا بما كان يتوقع ورآه من النتائج الكبيرة فانهم استوضحوا به اشياء وبقي من دون ما استوضحوه مشاكل حجة ومعيات شتى لم يبتدوا الى جلائها وكشفها ولا وجدوا ثم ما يسفر عن اولية اولئك الاقوام واصل نشأتهم مما لا يزال مستورا تحت ظل الابهام مكتوما في صدور الايام

وقد تقدم ان بيروسوس الكلداني في عهد الاسكندر كان قد دون تاريخا للكلدان ابان فيه عن شؤونهم وتاريخ ملوكهم وما لهم من الوقائع والآثار اخذ عن الواح السجلات التي كانت في هيكل

بعلوس وقد ذهب هذا السفر الثمين في جملة ما ذهبت به الايام فلم يبق له عين ولا اثر بيد انه يستفاد مما تناقله عنه المؤرخون انه ابتداءً من ذكر الخليفة وما طراً وراء ذلك من الاخبار وانه عدد عشرة من الملوك تداولوا زمام السلطنة من لدن الخلق الى الطوفان وكانت مدة ملكهم جميعاً ٤٢٣٠٠ سنة. ولا يغرب ان يكون هؤلاء العشرة هم الآباء العشرة المذكورون غير مرة في الكتاب من آدم الى نوح كان يبروسوس وجماع الكلدان يعتبرونهم من ملوكهم وسؤومهم باسمائهم المدونة في السجلات المذكورة وسيرد مزيد تفصيل لذلك في الكلام على عقائد البابليين

ثم ان عامة المحققين من اصحاب التاريخ على انه لا يصح خبر من اخبار الامم الاولى الا بعد ان تمثلت تلك الامم ممالك وتجزت شعوباً وهبائل وما قبل ذلك من احوالهم وشؤونهم فالتمسوا ببقاى الى معرفته سبيل. واول مملكة ظهرت في العالم وذكرت في مصاحف التاريخ مملكة نمرود التي ورد الالهة اليها في الفصل العاشر من سفر الخليفة ولم تكن اذ ذاك الا اربع مدن وهي بابل وارك واكد وكلنة وقد سلف الكلام على هذه المدن في محله. ونمرود هذا هو ابن كوش بن حام بن نوح عم وكان رجلاً جباً مولعاً بالصيد كما يصفه في الموضع المشار اليه. وفي احاديث اليهود انه كان ملكاً عاتياً على الله تعالى وانه هو الذي بنى برج اللغات المعروف ببرج بابل والعرب تقول انه اتى ابراهيم الخليل في اتون النار في خبر ليس هذا موضعه وهو عندهم مضرب مثل في الظلم يقولون اظلم من نمرود. وينسب الى نمرود اشياء كثيرة تضاف الى اسمه منها مدينة نمرود وبرج نمرود واخرية نمرود وقد مر ذكرها ومنها اصنام هائلة نقلها الافرنج الى بلادهم تعرف باصنام نمرود الى غير ذلك

وفي روايات المتقدمين انه بعد وفاة نمرود خلفه على المملكة ابن له يقال له اوجوس وكان اول من نصب صنماً وعبده وسن عبادته في رعيته وكانت وفاته في اواخر القرن السابع والعشرين قبل الميلاد. وقام بعده ملك يسمى خوماس فتأله في قومه وعبده واستمرت عبادته فيهم بعد موتها. ولما هلك تولي بعده بوراو بونغ واسمه فيما ذكرنا محرف عن بعل بيور وهو احد آله الكلدان. ثم عقبه في الملك نيجوبيس وعقب نيجوبيس ابيوس ثم انيبال ثم خنز بروس وفي عهده دخلت العرب بابل. انتهى باختصار. وهي اخبار لا يعتمد عليها في راجح الراي وفي الآثار ما يعارضها وينقضها ولذلك قد اجمع ارباب البحث على ان كل خبر روي عن بابل قبل اورخامس غير حري بالوثوق ولا بارز عن ظل الشبهة لانهم بعد استغراق ما اوصلهم اليه البحث من كتابات الآثار وجدوا ان اقدم ما سطر عليها لم يخط عهد اورخامس المذكور. ونحن نبدأ هنا بذكر تاريخه ثم نتطرق الى ذكر من اشتهر بعده على التوالي وما بين ذلك من الحوادث الخطيرة والوقائع المشهورة فنقول

كان اورخامس من الملوك النمروديين من ولد نمرود المقدم ذكره واورخامس (او اورشامس)



لفظة كلدانية معناها نور الشمس وقد ثبت بعد البحث والنظر في الآثار انه السابع من هذه الدولة وهو اول من نقش اسمه على حجر ابتغاء الفخر وبقاء الذكر على الابد . ويستفاد من بقايا مدينة اور انه هو الذي بنى سورها وشيّد فيها الهرم العظيم الذي ذهب بعض الناس الى انه برج الببله على ما اسلفنا الكلام عليه . وفيما قرره بعض الباحثين ان اورخامس هو اول من اتخذ اور داراً للملك وليس بثبت عند المحققين ولكن لاختلاف في كونه هو اول من جعل لها شاناً وفخامة وساق اليها من الثروة والعمارة ما فافت به اشتهر المدن في ذلك العهد وحصنها بالسور على ما قدمناه وزينها بكثير من المباني الضخمة والهياكل الابيقة وفي جملتها قصر اخنصه لسكناه لا تزال جدرانها ماثلة لهذا اليوم وعلى احدها صورة تشخصه ليس من ذلك العهد صورة ابداع منها صنعاً وهناك كتابات تشهد بانه هو باني القصر وفيها بيان كثير من شهب اعماله . ولاورخامس في غير اور ابنيه اخرى تُعزى اليه منها هيكل لمعبود النار في لارسان وآخر مثله في صفيرة وهيكلان في نيبور احدها لاله الافلاك والاخر لثاوث ام الالهة وهي اشهر ما وجدوه من الابنية موسوماً باسمه . وكل هذه المباني وعلى ما كانت عليه من الضخامة والعظم لم يأت عليها الا قرون فلانل حتى رثت قواعدها وتزق قائمها خلافاً لما كانت تنوهم عليه في بادئ الرأي من الصلابة والقوة بالقياس الى ما يعهد من ابنيه ذلك العصر ومصنوعاته فان هيكل لارسان منها كان في عهد بورنبورياس احد اعقاب كدرلاعومر قد اندكت اركانها وتداعت جدرانها فجدد هو بناؤه على رسمه الاول ورد اليه قدم رونقو كما يستفاد من كتابته له عليه وبين برنبورياس واورخامس مدة لاتزيد على ستة قرون

ولما انقضى عهد اورخامس قام بالملك بعده ابنه ابلي وله ذكر على بعض الآثار بنيد انه اتم بناء هيكل بأوركان قد شرع في بناؤه ابوه اورخامس . وبعد ابلي ملك ساغركتياس وكان سريره بصفيرة ومن ابنته فيها الهيكل الذي تقدم الكلام عليه عند ذكر هذه المدينة . وقد قدمنا هناك انهم وجدوا في جملة ما كان في هذا الهيكل آية من المرمر عليها اسم نارام سين احد اعقاب ساغركتياس المذكور واوردنا الدليل على ان ساغركتياس هذا كان من خلفاء اورخامس الوارثين الملك عنه ايرث الولي . ونقول هنا انه لا يستبعد ان تكون اكثر الآثار التي وجدت موسومة بالاسماء المترونة بسين كايروسين وريم سين وسين هابال انما كانت في هذا الموضع وما يجاوره وان اصحابها كانوا من ولد كوش من خلفاء اورخامس وساجركتياس بدليل ان عبادة سين كانت في بني كوش اعرق واقدم وهم الذين بنوها في ام ذلك العهد لانهم كانوا كلما افتتحوا اقليماً او تغلبوا على شعب تركوا فيهم عصابة منهم تؤيد امرهم وتبث ما لهم من عادات وعبادات فيبني فيهم اثر ذلك الفتح على الابد وهذا معلوم من شان المتقدمين من الاشوريين والمصريين وغيرهم

وأول مرة افتتحت بابل في القرن الثالث والعشرين قبل الميلاد على يد ازيدرخت المادي استغنى عنها عنوة بعد حصار عنيف ولما دخلها فتك في اهلها فتكاً ذريعاً ومثل بهم تمثيلاً شنيعاً وركب فيهم من العسف والجور ما لم يسمعهم معه الصبر فلبأوا الى مهاجرة البلاد فراراً بانفسهم وخرجوا هائمين على وجوههم . وكان من حديثهم بعد ذلك انهم تألبوا بدأ واحدة وجعلوا دابهم العيث في الارض لا يدخلون قرية الا وطئوها واستباحوا اهلها وارزاقها حتى بلغ معظم سوادهم الى الديار الشامية فانزلوا بها البلاء وفشا فيها القتل والنهب والسبي زماناً . ثم زحفوا الى مصر وقد كُتف لفيهم بن انضم اليهم من نواحي الشام من اسارى وغيرهم ونفروا في عرض البلاد وشانهم ما ذكر حتى انبت شرم وتفاقم امرهم . فاجفل لم المصريين اجيالاً شديداً وتاهبوا لتبالم فكانت بين الفريقين وقائع عديدة تواترت ازماناً وكثرت فيها الدماء من الجانبين حتى عجز المصريون عن كشفهم واجلت عاقبة الامر عن استيلائهم على معظم بلاد مصر قهراً . ولما استقرت قدمهم هناك ثقلت وطأتهم على البلاد وتمادوا في الظلم والفساد وبقي ذلك امرهم مدة خمس مئة سنة او تزيد الى ان كان عهد توتمس المصري فعُد فيهم الى الحيلة وعمل على تفريق كلمتهم فقسّمهم احزاباً ثم جعل يواقع كل فئة على حديثها حتى بدد شامهم وفرّق سوادهم واجلاهم عن ارض مصر اه . ولفتح ازيدرخت المذكور شهره عظيمة بين المؤرخين وهو النكتة المعبرة في تاريخ الكلدان فان كل حادثة ذكرت في مصنفاتهم عقيب هذا الفتح ووجدت طباق ما هو مسطر في تواريخ غيرهم من امم ذلك العهد خلاف دابهم من قبل ذلك فانهم كانوا يجازفون في تقرير الوقائع ما شاءوا حتى كانوا يزيدون على سني ملوكهم قبل الطوفان زيادات فاحشة على ما مرّت بك مثله بحيث لو جعلت كل سنة من تلك السنين يوماً لبعيت اعظم من ان يحتلها التصديق

وفي القرن الحادي والعشرين قبل الميلاد دخلت بابل في حوزة العيلاميين واستقر على سربرها منهم اثنا عشر ملكاً وكانت مدتهم جميعاً خمسين سنة اودونتها . ومن هنا برجح في الظن انهم كانوا بعد استيلائهم على تلك البلاد قد اقتسموها بينهم دفعاً للمشاحات فكان يملك منهم اكثر من ملك في آن واحد . ولعلّ فيما ورد في الفصل الرابع عشر من سفر الخلائق ما يستأنس منه بصحة هذا الرأي فانه يذكر هناك عدة ملوك كانوا في ذلك العهد ممتلكين على البلاد الكلدانية وفي جملة اوائك الملوك كدرلاعومر واربوك وفي الآثار ما يستبان منه ان كليهما كانا من الملوك العيلاميين الذين ملكوا في تلك البلاد . ثم انه يتخلص من آراء اهل البحث ان هذه الطائفة هي التي وضعت الحرف المعروف بالاناري الذي كان عليه مصطلح الكلدان قبل الحرف المساري لان هذا لم يكن معروفاً قبل القرن العاشر قبل الميلاد على ما سنبينه بعد . وكان اشهر هؤلاء الملوك كدرلاعومر الا انه لم يذكر له على

الآثار من عظام الاعمال ما ذكر لغيره من الملوك من لا يضاهاه شوكة واقداماً ولا يدانيه في كثرة الغزوات وتوسيع الفتوحات على ما هو مبين في الموضع المشار اليه من سفر الخلائق . ومخلص ما جاء هناك ان خمسة من ملوك ذلك العهد وهم ملك سدوم وملك عمورة وملك ادمه وملك صبوئيم وملك بالع كانوا تحت امرة كدرلاعومر ملك عيلام ودانوا له مدة اثنتي عشرة سنة ثم عصوه وامتنعوا من طاعته فزحف كدرلاعومر لقتالهم ومعه ثلاثة ملوك آخرين وهم ملك شنعار وملك الآسار وملك الام فواقعهم في غور السديم فانهزم ملكا سدوم وعمورة وتشتت من يايهم من اوليائهم وعاد كدرلاعومر واصحابه بالغنائم والسبايا . وكدرلاعومر وقائع غير هذه مع الرفائين والروزين والاييمين والخورين والعاقلة والامورين غزا اولئك كلهم في بلادهم وظهر عليهم وثمة تفصيل ذلك في موضعه . اما الزمن الذي ملك فيه كدرلاعومر فلا سبيل الى معرفته على التعيين ولكن لاشك انه كان في القرن العشرين قبل الميلاد وهو القرن الذي كان فيه ابراهيم الخليل عم لان كدرلاعومر حين كسر ملكي سدوم وعمورة ومن معها كان في جملة من اسره لوط ابن اخي ابراهيم وكان نازلاً بسدوم فلما بلغ ذلك ابراهيم نهض في ثلاث مئة رجل من حشوه واستنقذ لوطاً ومن معه من يد كدرلاعومراه . واما كون ذلك القرن هو القرن العشرين فمقرر بشهادة الآثار لان اهل التوقيت في تلك العصور كانوا يورخون من احدى غزوات كدرلاعومر كما ورد على بعض الآثار لاشور بانيبال ما معناه اني استفتحت سوزا ودمرتها في القرن الثالث عشر لغزوة كدرلاعومراه . وكان اشور بانيبال في القرن السابع قبل الميلاد . ولذلك شواهد اخرى لا تطيل باستيفائها

وفي اواخر القرن العشرين اخذت دولة العيلاميين في الانحطاط اثر الوقائع المتواترة بينهم وبين الكلدان ونوالي الاجنبيات عليهم حتى تقلص ظل سطوتهم ووهت ايديهم عن ضبط ازمة المملكة وحينئذ استتب الملك للكلدان فنهضوا باعباء الدولة اتم نهرض وجددوا ما طمس لهم من آثار العزة والصولة واستقرت ايامهم اربع مئة وثمانين وخمسين سنة وملك منهم تسعة وخمسون ملكاً . فانبسطوا اثناء ذلك في البلاد وامتدت شوكتهم في الآفاق وقهروا كل من ناوأهم من الامم حتى دوخوا تلك الاقاليم باسرها ومن ثم اشتهرت دولتهم وغابت اشعتها على كل دولة كانت قبلها في تلك الانحاء فلم يُعرف الا الدولة الكلدانية

واول من يُعرف من هذه الدولة اسمي داجون ومعنى اسمه داجون يستحيب وهو اسم اله سيد ذكر . كان اسمي داجون من اشد ملوك الكلدان بأساً وامضاهم صريمة واكثرهم غزوات ووقائع وكانت في يده مقاليد السياسة والدين معاً . وانتشبت بينه وبين الاشوريين معارك شديدة كانت العاقبة فيها له فاخضعهم لسطوته وفرق الاحزاب وقمع كل من عانده حتى دانت له جميع الامصار الاشورية

والكلدانية كما دانت ليجنصر من بعده . وكان مقامة نارة بأور عاصمة بابل ونارة بابلأسر عاصمة اشور ومن ابنته فيها هيكل لأوانس كشفته الفرنج من عهد غير بعيد . وفي ايام بلنت رعيتة اعظم مبلغ من الثروة والتعمير وتناهي حالها في المعارف والفنون وكثرت عند اسباب القوة والمنعة وامتدت شوكتة الى ابعد الاقطار حتى ان مانيثون المصري المؤرخ يقول في جملة كلامه ما صورته وتخوف نوبتي ملك مصر من بأس يفاجئه من نواحي الفرات فيدم ثغره فجذب في التحصين واتخذ لنفسه الأهبة وشحن المحصون بالرجال . اه . ونوبتي احد ملوك الرعاة وكان معاصراً لاسي داجون . واما زمن تملكه فقد توصل الباحثون الى معرفته من كتابة وجدوها لتغلك فلاسر الأول ذكر فيها عن نفسه انه جدد بناء هيكل اوانس المذكور في السنة الاولى بعد السبع مئة من بناء الأول وكان تغلك فلاسر في خلال القرن الثاني عشر قبل الميلاد فيكون عهد اسي داجون في خلال القرن التاسع عشر وتوفي اسي داجون عن ولد بن ملكا من بعده يسمى الواحد كغون والآخر شمسي غير انه لا يعلم ايها كان الاسبق في الملك وايس لها من الآثار ما هو حقيق بالذكر . ومن اشهر من اعقامها همورابي وهو أول من تروى اخباره عن يقين اخذاً عن كتاباته على الآثار . وكان معظمهم موجهاً الى تشييد المباني واتخاذ الهياكل والقصور وقد وجد الباحثون من ابنته آجرًا ضخماً يقول على واحدة منه ما ترجمته ان ميليتا الزارية ربة الماء والارض والهواء والنار والاهة الفلك هي سيدي . انا همورابي صفي أنو وبعل ايل وولي الشمس الراعي الامين الذي انشرح به صدر مرودخ الجبار . انا خليل الالهة ميليتا الملك القد بر ملك بابل وملك السوميريين والاكديين المتسلط على الامم كافة . ليكتب ان الالهة قد اثتمروا وملكوني على هذه الامم وقد فعلت كل ما احبت ميليتا التي خولتني الملك وسننت على الناس عبادتها كما شاءت وشدت لها هيكلًا في زاري المدينة المخصوصة بعبادة آكاني وجعلت هذا الهيكل مقدساً ومعبدًا لكل اقطار المعمورة وهو ميلاك ملكي . اه . وكان مقام همورابي بأور عاصمة الملكة ثم تحوّل منها الى بابل وفيها كان معظم ابنته وله في غيرها مبانٍ أخر اشتهرت بفخامتها وحسن رونقها وهو الذي حفر ببابل الترة العظيمة التي كان له بها جليل الفخر وحميد الذكر وقد وفق اهل البحث الى وجدان آجرة من جدران الترة قد نقش فيها انا همورابي القد بر ملك البابليين الضابط لازمة الاقطار الاربعة ( يعني بابل وأرك وأكد وكلنة ) الفاهر كل مناوي لمروذخ الهي ونصيري . ان الالهين بيتاً وبعل ايل قد قلدا في الملك على أمتي سومير وأكد وافعا يدي مجزي هذه الطوائف . وقد كريت نهر همورابي الذي هو سعادة البابليين وبلغت به الى ارض السوميريين والاكديين فامرعت به الفلوات القملة وكل بقعة لا ماء بها افضت عليها معيناً عاداً واجريت للسوميريين والاكديين مناهل لا تنقطع فجعلت لهم في المدائن والدساكر قراراً خصيباً وانشأت لهم من البلق

الغامر مروجاً رائعة وخمائل يانعة وناديتهم اقيموا في الرغد والمخصب فهذه ارضكم ارض ربيع وهنآء.  
انا همورابي الملك الهام خليل الاله الاكبر اني وفاقاً لما اوعدت اليّ مرودخ الاله القدير قد شيدت  
عند منبج نهر همورابي أطماً شاخ الراس وشحنته بالبروج العظيمة التي هي امثال الجبال الشوامق  
وسميت هذا الأطم دوراً موبانير (اي اطم موبانير) باسم الاب الذي نزلت من صلبه وجعلت هذه  
الامصار مباداة لي تخليداً لذكر اموبانير ابي اه

ولما انتضى عهد همورابي تداول سريره ملوك كثيرون قد اشتبهت اسماؤهم وتداخلت انباؤهم  
فنعذر تخليص بعضها من بعض ولذلك اضربنا عن تتبع اخبارهم لقلّة جدواها وعدم مصيرها الى  
حقيقة قاطعة . وفي عهد اولئك الملوك اخذت دولة الكلدان في الانحطاط والانحلال وزحفت  
عليهم الجيوش المصرية فكانت بين الفريقين وقائع متواترة نحو قرن من الدهر وذلك من سنة  
١٦٦٥ قبل الميلاد الى سنة ١٥٥٩ . وكان المصريون في هذه البرهة كلها منبثين في مملكة الكلدان  
لا تخلو من شراذم منهم يسطون في البلاد ويعيثون في اهلها الى ان وفد توئمس الاول احد مشاهير  
ملوك مصر الى كركيش في السنة المذكورة وعبر الفرات برجاله وزحف على بابل فنازلها والتي الحصار  
على بروجها فاستفتحها عنوة ودخلت البلاد في طاعته ولبثت تؤدي الجزية . ولما توفي توئمس تمرد  
الكلدان على ملوك مصر ونبذوا طاعتهم حتى كان عهد توئمس الثالث فجدد عليهم الغارة وزحف  
بجنوده حتى اتى بابل فحاصرها واخذها واثنى في اهلها وانصرف عنها ظافراً . وعند انصرافه ولي  
عليها من يتق به من اهلها بعد ان اخذ عليه العهد والمواثيق فزال الامر فيها للفراغة من بعده  
بولون عليها من شاموا الى سنة ١٢١٤ قبل الميلاد فكانت مدة ولايتهم على بابل وما يليها متتبعين  
وخمساً واربعين سنة . وكانوا في هذه الاحقاب كلها ياتون باولاد الولاة الذين يولونهم بابل الى مصر  
فيلقونهم عقائدهم من الدين ويؤدبونهم بادابهم وعاداتهم حتى اذا توفي احد آباؤهم انفذوا من اعجبهم  
منهم فعقدوا له مكان سالفه كما هو مقرر في الآثار المصرية . وكان اذا تمرد احد هؤلاء الولاة وابي  
حمل الجزية الى مصر خلعت الفراغة عن خطته وقتلوا الامر من هواهل له . فاصبح ملوك بابل من  
خلفاء همورابي واسمي داجون لا يملكون الا على اعمال بابل فقط وصاروا في منزلة ملوك نينوى وسنجار  
وابلاسر . وكان عدد من ملك من البابليين تحت إمرة الفراغة تسعة ملوك ذكر بيروسوس انهم  
من اصل عربي غير انه لا يعلم هل كانوا من نفس العرب سكان الجزيرة ام من اهل سورية والكنعانيين  
لان اسم العرب كان يطلق قديماً على كل من كان عربي المنطق وكانت العربية اذ ذاك شائعة في  
اقطار آسية الغربية كلها . والذي في رأي اكثر المحققين انهم كانوا من العرب السوريين بدليل عبادتهم  
لسونخ وهو من الآلهة التي لم تعرف الا عند السوريين

ويذكر في جملة من ولي بابل من ملوك العرب ثلاثة ملوك احدهم يقال له بورنبورياس والثاني كراهرداس والثالث نزيوكاس وهم الذين اضرمو نيران الحرب بين بابل واشور فلم ينطفي سعيهما حتى اخضعهم تغلث سمدان سنة ١٢١٤ واستخلص المملكة من ايدي الفراعنة على ما سبق الامناع اليو فانثالت عروشهم وتبددوا في الارض . واستعمل سمدان على بابل رجلاً من اصحابه واستمرت بابل تحت امرة الاشوريين يتعاقب عليها الواحد بعد الآخر الى منتصف القرن الثاني عشر فنهض واحد من الكلدان يقال له بين بلادان وحشد جموعاً كثيرة وزحف على اشور فواقعها وظهر عليها ورجع عنها ظافراً غانماً فاعتز شانه وارتفعت كلمته ونفذ سلطانه في الاقاليم الكلدانية كلها . ولما تمهد له امر الملك اقبل على تحصين بابل وعززها بالاسلحة والرجال وبنى على مدينة نيورسورا ساه نيويت مرودخ . وفي تلك الفوضون توفي ملك اشور الذي كانت الواقعة بين بلادان وبينه فقام بالامر بعد آدار بلاسر نجيش جيوشه وخرج لقتال بلادان فاستعرت بينهما الحرب وانفق في تضاعف ذلك ان توفي بلادان وتوفي آدار بلاسر ايضاً دون ان يتوجه الفوز لاحدهما فخلف بلادان نبوخذرصر وقام مكان آدار بلاسر اشور زيسي وقامت معها الشرور والفتن وما زال داهيها ذلك حتى هلكا كلاهما في حديث قد ذهبت عنا تفاصيله فاقصرنا منه على ما اوردناه

ولما كانت سنة المئة والالف قبل الميلاد وفد مرودخ دنياكي الكلداني على اشور بمجموعه واقام المحصار على هيكل في قدمرها عن آخرها وكان على اشور اذ ذاك تغلث فلاسر وكان ملكاً عالي الهمة شجاعاً فاتكاً فألب جيشه وبرز لقتال دنياكي فالتحمت الحرب بين الفريقين زماناً حتى كانت الغلبة لاشور فولى جيش الكلدان ادمبارهم بعد ان قتل منهم خلق كثير وكانت آخر توبة زحفوا فيها على اشور الى ان نهض بعليزيس الكلداني وتحالف مع ارباش المادي وجيش على نينوى فاخذها عنوة وتركها قاعاً صافناً وذلك سنة ٧٨٨ قبل الميلاد وقد اسلفنا طرفاً من هذه الواقعة في القسم الاول من الكتاب وسنعود الى تفصيلها ان شاء الله تعالى

### ذكر الدولة الاشورية الاولى

اما تاريخ الدولة الاشورية فلم تنزل اوائله غائبة تحت ظلمات الابهام لا يكاد يوقف منها على حقيقة يوثق بها ولا سيما ما كان منها بعيد العهد في ازمان نشأتها وقد تباينت اقوال المؤرخين في مؤسس هذه الدولة ومشيده اركانها الاول فمنهم من قال ان نمرود هو اول من اسس مدينة بابل ثم خرج الى نينوى فبناها وقد سبق لنا كلام في هذا المبحث عند ذكر مدينة نينوى يعني عن التكرار

هنا . وذهب غيرهم الى ان باني نينوى هو نينوس بدليل تسميتها وظاهره غير بعيد من الصحة لولا معارضة النصوص له كما ورد في سفر الخليقة من ان بانيها اشور بن سام على ما اسلفناه هناك . واكثر ارباب البحث في هذا العصر على ان بانيها مجهول او انه لا يتعين لها بان يعينه وانما هم جماعة من اهل تلك الارض ضربوا فيها مساكنهم ثم اخذوا يشيدون فيها المباني شيئاً بعد شيء وتوطنوها وجعلت العمارة تتزايد فيها كلما تكاثروا ههنا وانسعت ارضها من سائر الامصار . قلت والاضطران اولئك القوم كانوا شردمة من الكلدان نبت بهم اوطانهم فخرجوا الى تلك الارض ولما استقرت في موضع منها ولوا امرهم رجلاً منهم لقبوه بأشور وهي كلمة بمنزلة القيل عند العرب ثم اخذوا في بناء هذه المدينة وأولوا اليها وتداولوا ملكها وكان من امرها ما نحن فيه . يشهد لذلك اننا نرى اكثر الاشياء التي تواطأ عليها الاشوريون من نحو العقائد والعوائد واللغة واشكال الابنية وغير ذلك هي نفس ما عند الكلدان ولا نرى كذلك بقية الامم المتجاورة فانها ان لم تكن ذات اتصال واحد لم تكن تتوافق الا في الشيء القليل ما لا يقضي بينها بهذا الحكم . وفي هذا الرأي موافقة لمقال مؤرخي الكنيسة من ان اشور وقومه لبشوا زماناً مخالطين للبابليين في ارض الكلدان ثم فارقوهم لظلم احسوا به واستقلال سمو اليه فصح ان اصل الاشوريين كلداني استدللاً ونقلًا والله اعلم بالصواب

ثم ان نص الكتاب لا يورد من هذا القبيل الا لغة خفيفة وبقي تاريخ اعقاب اشور وما آل اليه امرهم في نقل ملكهم كل ذلك مجهولاً الى هذا العهد . وقصارى ما يعلم من شأنهم انهم افضى بهم حول الدهر الى الوقوع في قبضة ملوك الكلدان الا ان هذا التبايع عن التفاصيل غفل من بيان حال سقوطهم وتاريخ انحلال ملكهم وتوقيت الزمان الذي لبشوا فيه تحت امرة الكلدان الى حين خروجهم من ربقتهم . وقد يستخلص ما ذكره الكتاب من ان الله جل وعلا لما اراد عقاب بني اسرائيل على معصيتهم اسلمهم الى كوشان رشعنائيم ملك ارام النهرين ان الاشوريين كانوا في ذلك العهد تحت ربة الكلدان لانهم لو كانوا مستقلين في ملكهم لاسلم بني اسرائيل اليهم لينفذوا فيهم نقتة كما كان من شأنه تعالى ان يسلمهم عليهم كلما اراد نكالهم على ما سنبينه في الكلام على اسرحدون وشلمناسر ومخندصر وغيرهم . ومهما يكن من ذلك فالذي يفهم من روايات المؤرخين ان الاشوريين مضى عليهم القرن الثامن عشر والسابع عشر والسادس عشر قبل المسيح وهم في قبضة الكلدان يدوقون من انواع الذل واصناف الجور ما لا طاقة لهم به حتى ضاقت صدورهم وعيل اصطبارهم فاخذوا يجهدون في التماس من ايديهم حتى اذا كادوا يظفرون بالنجاة انقضت عليهم جيوش مصر فاذاقتهم البلاة وسامتهم الخسف والرق وما زالوا في مثل تلك الحال من ضغط المصريين عليهم وغزوات البابليين لهم من كانوا يلون تحت امرة الفراعنة على ما سبق الايامه اليه حتى انتهى القرن

الخامس عشر ثم تلاثة القرن الرابع عشر فنهض في اوائل رجل منهم من اهل الشدة والنجدة يقال له نينيب فلاسر وهو تغلث سمدان المقدم ذكره قبيل هذا فصاح في قومه الاشوريين وجرد منهم خلقاً لا يحصى وزحف بهم على بابل فنازلها وحاصرها حصاراً شديداً الى ان افتتحها عنوة سنة ١٢١٤ وابدأ اهلها قتلاً واسراً

ونينيب فلاسر هذا هو الذي يسميه الفرس بنينوس ويعملون سهراميس زوجته في حدبش طويل تلخصه هنا عما رواه اکتزباس طبيب ارتكر رسيس ملك فارس عن السجلات التي كانت في بلاط الفرس بفرسبوليس على ما سلف بيانه في اوائل الكتاب وعن اکتزباس هذا اخذ اكثر المؤرخين. ومن تاريخه فيما نحن فيه ما رواه ديودوروس الصقلي من كلام يقول فيه ما معناه ولما انحطت احوال البابليين اثر الموانثبات التي وقعت ببابل ايام دخلتها العرب نهض نينوس الاشوري لانقاذ قومه من ربة الذل فشرع في حشد الجنود وجمع الاقوات واتخاذ العدد وزحف بجيشه الى بابل فامتلكها بعد حصار عنيف وانحن في اهلها وقتل ملكها وحبس امرأته وبنيه وبناته وسائر من ينتمي اليه. ثم انصرف عنها فعطف على ارمينية وفي عزه ان ينزل بها ما انزله ببابل فازدلف اليه ملكها بما عنده من اصناف الكنوز والذخائر الكريمة فقبلها نينوس من يده وانصرف عنه راضياً. ثم مضى بجنوده الى مادي وكان عليها يومئذ ملك جبار من ارباب الصولة والبأس فانفت من التسليم الى نينوس والانتقاد لطاعته فواقعه نينوس وقهره ثم قبض عليه وصلبه. وبقي نينوس على مثل تلك الحال نحواً من سبع عشرة سنة يغزو في البلاد ويفتح الحصون والمعقل ويدمر الاسوار والمدن حتى استولى على جميع البلاد الواقعة ما بين البحر المتوسط وبحر الخزر ونهر الهند وخليج فارس. قال ولما قفل نينوس الى بلاده بالغنائم والسبايا هم باقتناء مدينة يجعلها مباداة له ولاعتقابه لا يقع في الامكان ان يكون لها مثيل على تراخي العصور وتوالي الاحقاب فاقام فيها الابنية ورفع عليها سوراً منيعاً شيد عليه بروجاً باسقة الارتفاع ونادى بالناس الى سكنى المدينة فاجتمع اليها الوف من الرجال والنساء من اشراف الناس وصعاليكهم وتواردت اليها اسباب الثروة وال عمران فالبثت الآزماً يسيراً حتى صارت لاتدانيها مدينة في الارض. قال وبعد ان تم بناء السور هب نينوس للمسير فجد جنوده وارتحل بهم الى بقتريا عاصمة بقتريانا وكان قد قصد هذه المدينة من قبل واضرم عليها لظى الحرب زمناً ثم تراجع عنها عن عجز وخسران. فلما عاد اليها في الكرة الثانية لبث تحت اسوارها امداً طويلاً حتى ضعف رجاؤه في النصر وتخوف ان يفرغ من عنده الزاد فتكون في ذلك ملكة وفتناه جيشه. فحدث في تلك الايام ان الاله الكبير انفذ الى نينوس امرأة قائد من قواده اسمها سهراميس فاشارت عليه بحيلة يتمكن بها من الاستيلاء على المدينة ففعل



فانفتحت له ابواب البلد ودخاها ووضع السيف في اهلها فتعزز سلطانه وقويت شوكتة في سائر الاقطار. ومنذ ذلك الحين هام نينوس في حب سيرااميس وكلف بها كلفاً لا مزيد عليه وعلم بذلك بعلمها القائد ورأى انه لا يقوى على مقاومة الملك ولا يصبر عن امراته فمخنق نفسه ومات شرميتة . فوقع موته عند نينوس اشهى موقع ولم يلبث ان امر فعقد له على سيرااميس وتزوجها . انتهى بتصرف

ومن اشهر من ملوك اشور تغلث فلاسر المتقدم ذكره قبيل هذا ولي الملك في اواخر القرن الثاني عشر قبل الميلاد وهو السابع من اعقاب نينيب فلاسر وله على الآثار ما يشهد بانه كان من جلة ملوك اشور الموصوفين بالاقدام وكثرة الغارات ووفرة العمارات ومن عهد غير بعيد وجد له اثر في اخربة كالح شعرات قد سطر عليه تاريخ فتوجه فيما بينف على سبع مئة سطر ذكر في جملتها انه بلغ في غاراته بمر الخزر الذي يسميه البحر الاعلى ودوخ ما هنالك من البلاد وانه اخترق جبل لبنان ولم يكن اخترقه ملك اشوري قبلة وركب البحر المتوسط الى جزيرة رواد وزحف بجيشه على ممالك كثيرة فقهرها ورجع عنها ظافراً وطاطات له ملوك طانيس كنف الطاعة والخضوع فاطرفة فرعون مصر بتساجح من تماسح النيل توددا اليه وتزلفاً من رضاه . وفي عهده نهض مرووخ دنياكي الكلداني على هيكالي واخذها عنوة على ما قدمناه فنار تغلث فلاسر بجيش كثيف وأم بابل فخرج اليه مرووخ واقتتل الفريقان في قاع من الارض بظاهر بابل وكانت العاقبة للاشوريين فاشغوا في البابليين ومزقوا شملهم كل ممزق ودخلت المدينة في حوزتهم

وبعد وفاة تغلث فلاسر انتشبت الفتن بين الاشوريين وتفرقت كلمتهم فلانت شوكتهم وضعفت صولتهم وفي تضاعيف ذلك زحف عليهم قوم من الكيتاسيين فناصبوهم حرباً شديدة فلم يستطعوا الثبات امامهم واستولى الكيتاسيون على كثير من البلاد وضربوا عليهم الذلة . وبعد ما شاء الله من الزمن نهض رجل من اعيان الدولة الاشورية يقال له بعل كيتراسو واليونان بسمونه بعليتراس وقد رأى ما حل بالدولة من انحلال عراها واختلال امرها فعمل على خلع الملك وهو يومئذ اشور بمار وغلبه على الملك ونقل السريبر من اشور الى مدينة نمرود . وكان بعليتراس هذا من الامراء آل الملك كما يستفاد من كتابة بعلوخوس الثالث الاشوري خلافاً لما يزعمه مؤرخو اليونان من انه كان اجنبياً عن الملك . ولما انقضت ايامه قام باعباء الدولة بعده شلمناسر الثاني ثم اربين وتعاقب بعده ملوك آخرون حتى افضى الامر الى بعلوخوس الثاني وكانت مدة ملكه من سنة ٩٥٦ الى سنة ٩٢٦ وهو الذي كانت الواقعة بينه وبين ملك مادى فاخضعه لدولته واقام الماديين يودون الجزية . ولنا من عهد هذا الملك الى انقضاء الدولة الاشورية سلسلة متواصلة لجميع الملوك الذين ركبوها سريبر

اشور من غير نقص ولا خلل . وتولى الملك بعده ابنة تغلث سمدان الثاني وكان رجلاً جباراً مولعاً بالفتوح والغزوات دون تشييد الابنية لانه لم يُعَارَله على بناءه باسمه الا ان تكون قد ذهبت بو الايام ومجاهة نوالي الخراب فلم يبق الى كشفه سبيل . وقد وجد ارباب التنقيب آجره من آثاره قد نُقِش عليها ما معناه . انا تغلث فلاسر الملك القدير المستولي على الامم كافة انا السيد العظيم الذي ليس سيد في المعمورة الا وانا سيده . لقد ملكت بسيفي الاقطار الاربعة وغزوت مجيشي صغير المالك وكبيرها وكل عدوي لربي قمته وارغمت انفة . وذكر بعد ذلك اخضاعه للملكة كوماغنيا ثم المملكة الواقعة عند مُنْجَرِ دجلة (ولاشك انه يريد ارمينية) ثم استيلاءه على القسم الاعلى مما بين النهرين واجلاسه لطوائف تلك الآفاق ثم وصف خروجه الى مصر وظهوره عليها وتملكه لها وقهره من انتصر لها من ملوك الاقاليم المجاورة الى ان قال فبلغ جلة ما ملكته اثنتين واربعين مملكة وولاية تمتد من افاصي المشرق الى اطراف المغرب وحملت من حيوانها ونباتها وغرائب موجوداتها فضلاً عن اجليته من كل مملكة اخضعتها وجئت بذلك كله فجلته في ملكي الزاهرة . انتهى . وكانت مدته من سنة ٩٢٥ الى سنة ٩٢٠

وبعد تغلث فلاسر تولى زمام الدولة ابنة اشور نزرىبال الثالث واستقر على سرير الملك من سنة ٩٢٠ الى سنة ٩٠٥ وكان تملكه في اليوم الثاني عشر من شهر تموز على ما حَقَّقَهُ اهل الهيئة في هذا الزمان لانهم وجدوا على الآثار ما مفاده ان هذا الملك ولي السلطان في اليوم الذي كسفت فيه الشمس كسوفاً تاماً وكان ذلك بموجب حسابهم في اليوم المذكور . وكان مولعاً بتشيد المباني واقامة الهياكل والقصور وقد وجد له ما لا يحصى من الآثار الموسومة باسمه من ابنية وثماتيل آلهة واوان مخلفة من الذهب والفضة والعاج وغير ذلك . ومن ابنيه القصر العظيم بنرود الذي كشفه السير لايرد الانكليزي وقد بقيت منه بقايا تدل على انه كان من الفخامة والاحكام بمكان . وله بنرود ايضاً الهرم الباذخ الذي شيده لرصد الكواكب . وعلى مسافة منها هرم آخر كان هيكلاً لآدار بناه واقام فيه تماثلاً قد نُقِش عليه ما ترجمته . انا اشور نزرىبال الظافر الميم رب النصر الاشوري ابن تغلث سمدان اميت الفراع ومغراق الحروب المالك على الاربعة الاقطار ابن بعلوخوس الملك المظفر المتسلط على الطوائف الاشورية . لقد ملكت بسيفي جميع الاقاليم الممتدة من اُدن مُنْجَرِ دجلة الى اطراف جبل لبنان . اه

وكان اشور نزرىبال ظلوماً جافياً سفاكاً للدماء لا تاخذه في احد رحمة ولا تعطفه عاطفة وكان اذا اسرقوا نكل بهم تنكياً فظيماً فيصلم آذانهم ويجدع انوفهم ويقطع ايديهم وارجلهم الى ما شاكل ذلك فضلاً عما يركبه من الفواحش في السبايا والاطفال ثم يجمع تلك الاعضاء فينضد بعضها

فوق بعض حتى تصير بناء قائماً في السماء وتلذذ بالنظر اليها. قلت وهذا اشبه بما بروى عن نيرون الروماني وقت ايقاعه باهل الدعوة النصرانية من انه كان يصلب الجماعة منهم في ربض المدينة ثم يطلي ابنائهم بالفار والنيظ فاذا خيم الليل امر باحراقهم ثم خرج على عجلته ومعه وزراءه وكبراه بلاطه يتفرجون على ذلك المشهد الكريه . ومع ما في هذا الصنيع من شدة القسوة التي تدل على نهاية الخشونة والبربرية فلا يُنكر على الاشوريين انهم كانوا في ذلك العهد قد بلغوا قمة التمدن والحضارة في فنونهم وصنائعهم ولم في اواخر ازمانهم ما هو اشنع وافظع مما ذكر فقد روى عنهم هيرودوطس اليوناني وكان قد قدم بابل في اواسط القرن الخامس قبل الميلاد انه لما حدثت الفتنة في بابل قبيل ذلك العهد بقليل ووجد عليها داربوس هتاسب وحاصرها ستم اهلها من طول الحصار وفرغت اهبنتهم فذبحوا عدداً كثيراً من نساءهم بحيث لم يتركوا الا امرأة لكل واحد منهم . ثم لم يلبثوا الا قليلاً حتى استفتح داربوس المدينة فلما دخلها وعلم بما صنعوا حتى عليهم حقاً شديداً فاطلى بك فيهم بالعذاب والتشيل وصلب منهم ثلاثة آلاف رجل . انتهى

ولما توفي اشور نرربال خلفه على الملك ابنه شلمنأسر الثالث وكان ملكه من سنة ٩٠٥ الى سنة ٨٧٠ . وعلى عهده عظم شان اشور واتسع نطاقها وأطلق عليها في الكتاب اسم ملكة . ومن شهر اعماله التي ذكرت في التاريخ واقربها الآثار ما ورد له منقوشاً على احدها حيث يقول ما ترجمته . في السنة التاسعة للملكي عبرت نهر الفرات وهي ثامن مرة عبرته فيها ودمرت مدينتي سنجار وكركيش وصيرتها ما كلاً للنار . ثم خرجت لمواقعة ابن جذري الشامي وصغلينا الحوي واثنى عشر ملكاً من ملوك الساحل ( يعني فينيقية ) فتهربهم واستحوذت على كوزهم وعجلاتهم وعددهم وخيولهم . وفي السنة العاشرة خرجت بمئة وعشرين الفاً من الجند الى حماة فاخذتها واستوليت معها على تسع وثمانين مدينة . وفي السنة التاسعة عشرة خرجت على حزائيل خليفة ابن جذري فغنت منه الفاً ومئة واحدى وعشرين عجلة واسرت اربع مئة وسبعين فارساً بعددهم . وفي السنة الموفية للعشرين سرت الى جبال امانوس وقطعت من ارز لبنان جسوراً حملتها الى اشور . وفي السنة الثانية والعشرين سبقت الى الجزية من صور وصيدا وجبيل وبعدها وفدت على الهدايا من ياهو ملك اسرائيل . وله اعمال غير هنا سطرها على السارية التي نصبها بمرود اضربنا عنها لضيق المقام

وبعد شلمنأسر افضى الملك الى ابنه شمشيهو الثالث المعروف بصامس بين وكان له اخ قد استحوذ على بعض الممالك التي افتتحها ابوه فتشاحا عليها واستطارت بينها الفتنة نحواً من خمس سنين ونشأت عن ذلك مشاغب شتى في بابل ونيوى وكثرا الهرج حتى اصبحت عثرة الملك في خطر ان تسقط رأساً وفي آخر الامر استقر الفوز لشمسياهو فاستخلص تلك الممالك من اخيه وخلا بامر الملك .

وقد عُثِرَ له على اثر يقول فيه انه خرج على بابل لقتال مرووخ بَلتاريب وكان مرووخ تحت إمرة الاشورين فلما ثارت الفتنة بين شمشيهو واخيه اغنم تلك النهزة لشق عصا الطاعة وجاهر بالعصيان فواقعه وظفر به وقتل زعماء الاحزاب وغنم منه مئتي عجلة واجلى من رعيته سبعة آلاف نفس . اه  
وتولى الملك بعده ابنه بعلوخوس الثالث وعلى عهد استوتفت الفتنة في بابل وتمادى القوم في المنابذة والخلاف حتى عجز عن ردهم الى طاعته فارتأى انه اذا تزوج واحدة من بنات ملوك بابل كان في ذلك وسيلة الى بلوغ ماربو وأمين سورة الشقاق . فوقع اختياره على سبيراميس التي يروي عنها بعض متقدمي المؤرخين افعلالاً يضيقي عنها نطاق التصديق . ومما وجد من آثاره آجرة قد نُقِشَ عليها انا بعلوخوس قد ضربت الانارة على جميع المدن والاقاليم والمالك الواقعة ما بين سورية وفينيقية وحدود صور وصيدون والسامرة وايدومة وفلسطين . اه . وهي اول مرة ذُكِرَت فيها فلسطين على آثار اشور . وفي لندرة اليوم شمال ضخم للاله نيوكان نصبه وزير بعلوخوس وكتب عليه ايها الاله نيوالمعظم عصمة مولاي وعضده كن مؤازراً له بمجولك وقدرتك واحفظ سيدتي الملكة سبيراميس زوجته . اه

وسبيراميس هذه هي التي ذكرها هيرودوتس وقال انها كانت مالكة قبل نينوكريس بمئة وستين سنة وجاء المؤرخون بعد فخطأوه ورووا عنها اقاويص واخباراً لا يجتمل غرضنا الاطناب بذكرها غير اننا نورد بعضاً من تلك الحكايات تفكيها للمطالع . فن ذلك ما حكاه بعلوطرخوس في جملة كلامه اورد فيه ذكر سبيراميس قال وتوسلت هذه الملكة الى بعلم نينوس ان يفوض اليها ازمة الاحكام خمسة ايام تستبد فيها دونه ففعل وانفذ بالوامر المؤكدة الى جميع العمال وارباب المجالس والاحكام ان يولوها جانب الاذعان ولا يخالفوها في شيء ما نامرهم به . فلما خلت بالملك كان اول ما امرت به طرح نينوس في السجن وخلعته عن السرير راساً فبقي في محبسو يعاني الذل والنهر حتى ادركته الوفاة . وقال دبودوروس ومن اخذ اخذه من الكتاب كانت سبيراميس من طائفة خاملة الذكر من رعاع عسقلان فلما وصلت الى الملك افرغت طوقها فيما يُذبل بذكرها الذي من الاعمال العظيمة والفتوح الجسيمة فحشدت اليها البنائين والصناع من انماط شتى وامرت باقامة السورين العظيمين اللذين يحيطان ببابل فبلغا سبعين كيلومتراً طولاً ورفعت فوقها برجاً منيعة وخططت ازقة المدينة وقسمتها الى ست مئة وخمسة وعشرين حواء وشيدت هيكل بعلوس والنصر الملكي والمحدثي المعاقبة ما سلف ذكره في القسم الاول من هذا الكتاب . قالوا وان سبيراميس لم تنفع بالملك الذي تقلدته عن بعلم فنادت في قومها وحشدت من الجيش ما بلغت عدته الف الف جندي وزحفت بهم الى ارمينية وهي في طاعتهم وكان على ارمينيا ملك يقال له قارا فظهرت عليه وقهرته

وولت مكانة رجلاً من اصحابها . ثم سارت الى فلسطين فاخضعنها واستولت عليها وتقدمت من هناك الى مصر فامتلكتها ثم عطفت على الحبشة ففعلت بها كذلك ولم يمض عليها الا زمن يسير حتى دانت لها جميع الاقطار التي بين الصين والحبشة . ثم وجهت الغارة الى الجنوب فارتحلت بمسكرها الى بلاد الهند وتقدمت الى رجالها ان يذبحوا الوقا من النيران الدُمس ويسلخوا جلودها ويقطعوها على هيئة الفيلة حتى تكسو بها ابرعها وخبولها وتقدمها امام الجيش ايها ما للعدو . وبلغ ملك الهند خبر مقدمها فجهز لقتالها والاب جيشاً كثيراً ووجه شردمة من الجيش او عز اليهم ان يبرزوا لها ثم ينهزموا امامها حتى تدخل اواسط البلاد . فلما التقى الجمعان والتحمت الحرب ولت الهنود على اعقابها وتبعهم سميراميس برجالها حتى اوغلت في ارضهم وكانوا قد كمنوا لها في موضع من البلاد حتى اذا بلغت موضع الكمين ثاروا في وجهها واطبق جيشهم من كل جانب فاهلكوا من قومها خلفاً لا يحصى وانهزمت سميراميس شريفة وقد اصابها جرح بالغ كادوا يمسونها به لولا خفة فرسها وسرعتهما في الفرار وانثنت قافلة الى بابل بالفشل والخسران . اه

وخلف بعلوخوس الثالث وسميراميس اشور ليجوس المعروف بسردنابال او سردنافول وفي ايامه تفاقم امر الفتنة في بابل ووهت سطوة الاشوريين وتضعفت دعائم دولتهم لما كان في سردنابال من الغفلة وضعف النفس ووهن العزيمة لانه افنى زمانه في حشد الاموال ومعاقر اللذات والاقبال على اللهو والخلاعة وكان لا يفارق دار حرمه ولا يهتف الا مغازلة نساءه حتى قيل انه كان يتزيا بملايسهن ويعمل اعمالهن من الغزل ونحوه الى غير ذلك . ولما كان اهل بابل قد سبوا من تسلط الاشوريين عليهم وهم غير غافلين عن انتهاز فرصة للتخلص من ايديهم نهض بعليزيس الكلداني وحالف ارباش ملك مادي على اشور كما قدمنا تفصيلاً في القسم الاول وكان من عاقبة هذه الحرب خراب نينوى عن آخرها واحراق الملك نفسه وآله في النار على ما مر هناك واصحلت بذلك الدولة الاشورية الاولى

### ذكر الدولة الاشورية الثانية

ولما تم هذا الفتح لبعليزيس واطمأنت له البلاد جعل مقامة باشور وبقيت في حوزته الى ان توفي سنة ٧٤٧ . وبعليزيس هذا هو المعروف بفول وهو على ما في الآثار الاشورية من سلالة ملوك اشور الاولين وليس لنا من اخباره الا ما ورد عنه في رابع اسفار الملوك حيث ذكر ان منعيم ملك اسرائيل لما قتل شلوم بن يابيش الذي كان مالكا قبلة وتسلى عرش الملك ارسل الى فول ملك اشور يستصرخه

ويستعين به على اقرار الملك في يده وجهز له الف قنطار من الفضة ضربها على قومه فلباه قول  
واسعته بما اراد وبعد ان استنص منه المال قفل راجعاً الى ارضه وكان ذلك سنة ٧٧١ . وفي سفر  
يونان ان الله جل جلاله ارسل نبيه يونان عم الى نينوى بنذرهم خراب المدينة ان لم يتوبوا اليه تعالى  
فلما اتصل خبره بالملك نزل عن اريكته وجلس على الرماد وهو قد تردى بالمسح وامر مناديه ان  
ينادي في المدينة بصوم عام على الناس والبهائم جميعاً لاتذوق نفس منها مطعماً ولا مشرباً وان  
يلبسوا المسوح كذلك وبيتهم بال دعاء الى الله وياخذوا باسباب الصلاح والتوبة فلما فعلوا ذلك  
عفا الله عنهم وكف عن المدينة

وبعد وفاة فول انتفض الاشوريون على اهل بابل ونبذوا الطاعة لم وقعت بين الفريقين  
مجاولات شتى وكان في طليعة الاشوريين واحد من ابناء ملوكم يعرف بتغلك فلاسر الرابع  
ودامت الحرب بينهم نحواً من اربع سنين حتى كان الظفر للاشوريين وذلك سنة ٧٤٣ . وكان  
تغلك فلاسر هذا رجلاً جباراً فاتكاً مقدماً وقد اوتي من النصر والتوفيق شيئاً عزيزاً حتى طار ذكره  
في الاقطار وظلّت مهابته على الامصار وكان يلتب نفسه بنينوس الثاني . وكان لما استقر في يده  
امر اشور واستوسق له الملك انه صرف اهتمامه الى النظر في احوال الدولة وجمع ما تفرق من امرها  
ونظر الى الممالك التي استفتحها الاشوريون من قبله فاذا بالكثير منها في قبضة البابليين فعقد عزمه  
على استرجاعها ولم يلبث ان زحف من تلك السنة الى اسروينا وشمالي الاقطار الشامية فاحضعها  
لسطوته وفي السنة التالية سار الى ارمينية فنكبتها واستولى عليها واجلى عدّة كثيرة من اهلها الى اشور .  
واتفق في تضاعيف ذلك ان هاجت حرب بين فاقح ملك اسرائيل ورضين ملك دمشق وبين  
آحاز ملك يهوذا حتى تضابق آحاز جدّاً فبعث الى فلاسر المذكور يستعديه وانفذ اليه بما كان في  
الهيكل الكبير وقصر الملك من الذهب والفضة وكان شيئاً كثيراً فجرد فلاسر جيوشه ونزل على  
دمشق فافتتحها وقتل رضين ملكها ثم عطف على فلسطين فقهر فاقح ملك اسرائيل واستولى من  
مدائنه على عيون وآبل بيت معكة ويانوح وقادش وحاصور وجلعاد وكل ارض نفنالي وساق  
سكانها الى اشور . وبعد ذلك ارتد على آحاز ملك يهوذا فنانله ثم تاركه الحرب على مال بجمله اليه  
وذلك سنة ٧٣٤ . ولما فرغ من امر اولئك الملوك وجه الغارة الى المشرق فلم يمر بارضي الا اذاقها  
البلاء وظفر بملك اريانا واستحوذ على كثير من مدنه وضياعه وما زال ذلك دابه الى ان توفي سنة ٧٢٧  
وخلفه على سرير الملك شلمنسر الرابع وقيل الخامس وقيل السادس ومن اخباره ما جاء في  
اسفار الملوك ايضاً من انه زحف على هوشع ملك اسرائيل بالسامرة وقهره وضرب عليه الجزية فلبث  
يوذيهامدة ثم انقطع عن ناديتها وبعث الى سوه ملك مصر يستنجد فعاد اليه شلمنسر وظفر به

وارسله الى السجن مكتوفاً وحاصر مدبته السامرة فكثت ثلاث سنين تحت الحصار ثم افتتحها عنوةً واجلى من بها من الاسرائيليين الى اشور فانزلهم بمجلاح وعلى عدوة خابور نهر جوزان وبثّ منهم انساناً في مدائن مادي ثم بعث عصبةً كبيرة من الاشوريين فبواهم السامرة وانقضت منذ ذلك مملكة اسرائيل آخر الدهر بعد ان دامت مئتين واربعاً وخمسين سنة وكان ذلك سنة ٧٢١ قبل الميلاد. وفي بعض الآثار ان الذي كان فتح السامرة على يده هو صاربوكين خليفة شلمنأسر المشار اليه والصحيح في ذلك كما ذهب اليه اكثر المحققين ان شلمنأسرتوفي اثناء الحصار فتمّ الفتح على يد صاربوكين وكان القائد الاكبر في الجيش فنسب الفتح اليه

ولما هلك شلمنأسر لم يكن في واده من يضطلع باعباءه الملك فتسلى السرير صاربوكين قائده المشار اليه وهو المسمى في الكتاب بسرجون وعلى يده تمّ فتح السامرة على ما قررناه وكان جملة من اجلاهم من اليهود نحواً من سبعة وعشرين الف نفس . وكان هذا الملك كثير الغزوات والحروب نهض لاسترجاع ما بقي من فتوح اشور ومالكهم في ايدي الاكلدان منذ حين سقط سردنابال آخر ملوك الدولة الاولى على ما سلف ايراده . فدوخ جميع ما بين النهرين واخضع ارمينية ومصر وقبرس ونصب في قبرس حجراً كبيراً نقش عليه صورته مع تاريخ استيلائه عليها والحجر المذكور اليوم في برلين . وكان في جميع هذه المغازي والغارات مظفراً منصوراً ولم يدركه الفشل الا في حصار مدبته صورفانه قصدها ونازلها مجيشاً زمناً طويلاً وتغاني من جنوده تحت اسوارها خلق لا يحصى وفي عاقبة الامر نفذ ما عنده من القوت والعلف فنراجع عنها خاسراً . وله غير ما ذكر وقائع كثيرة اثبتها على جدران الابنية التي شيدها بخرسا باد يقول في موضع منها . هذه سياقة ما فعلته من لدن استيلائي على زمام الملك الى منتهى الغزوة الخامسة عشرة من غزواتي . كان استيلائي على الملك في يوم الخسوف التام ( يعني خسوف القمر وكان فيما عيينه بطليموس في ١٩ آذار سنة ٧٢١ ) وقد قهرت كيبانيغاز ملك عيلام ثم حاصرت مدبته السامرة واخذتها واجليت ٢٧٢٨٠ نسمة من سكانها . وتخالف هانون ملك غزة وفرعون ملك مصر على قتالي فنازلتها واقعت بهما في ارض رافيا فانهزما شرّ هزيمة وسكنت نامتها آخر الدهر . ثم اتي ضربت على فرعون ملك مصر وعلى شمس ملك العرب ويطعمهم ملك الصابئة اناوة من الذهب والعقاقير العطرية والخيل والابل والبقر . وبعد ذلك حاول عبيد المالك في حجة ان يجرش علي اهل دمشق والسامرة فزحفت مجنودي المظفرة الى كركار واتشبت بيني وبينه وقائع هائلة كانت العاقبة فيها عليه فدككت سور المدينة واعلمت الهدم في سائر ابنتها حتى رددتها ركماً ثم قتلت زعماء الاحزاب وقبضت على الملك وسلخت جلده عن بدنه . ولما ملك ارتزو في وان كانت في حوزة يدي فلما مات بايع الاهالي ابنة آسا وعقدوا بينهم وبين اورساما

الارمني حلفاً سرّياً على ان يقاتلهم في ردّ استقلالهم فسرت اليهم بالجيوش الاشورية وضربتهم ونسفت قلاعهم عن آخرها وقبضت على الملك الخائن (يعني ملك ارمينية) وسلخته وقطعت خراذل واخضعت الجميع لسلطاني . وفي تضاعيف ذلك انتهر آزوري ملك اسوط فرصة اشتغالي باولئك الاقوام وامتنع عن حمل الجزية اليّ فدمرت مدائنه واستحوذت على آلمته وعلى امرأته وبنوه وكل من ينتمي اليه . ثم اخذتني الرحمة فاعدت عمارة المدائن التي خربت بها واسكنت فيها الاقوام الذين اجلبتهم من مشارق الشمس ووليت امرهم واحداً من قوادى وادخلتهم في عداد الاشوريين . وبعد ذلك ذكر عدّة مواقع بينه وبين مرودخ بلادان سنة ٧٠٩ كان النصر فيها له واستولى على النسطاط الذي كان لمرودخ من الذهب وغنم كنوزة وذخائره وأسرع دأ كبيراً من جنوده ودمر مدينة دورباقين بشارسردنابال . وان ملوك بطنان السبعة (اي ملوك قبرس) الذين لم يسمع اسلافه بذكرهم بسطوا له يد الاذعان ووفدوا عليه بالهدايا والطرف من الذهب والنضة والآنية الثمينة وخشب الابنوس وعدد كثيراً من الحروب التي عليها بعد ذلك ما يطول شرحه ولا فائدة في استيفائه

وفي سنة ٧١١ بعد ما عنت له تلك الاقاليم ونفذت كلمته وارتفع سلطانه شرع في بناء مدينة نضاهي نينوى في مجدها الاول فاتخذ لها اسباب العمارة وحشد اهل الصناعة من كل اوب وجعل مركزها الى الشمال الغربي من نينوى على مسافة ستة عشر كيلومتراً منها وزينها بالنصور الشاهقة والهياكل الباسقة والابنية الفسيحة وشرع في تشييد قصر له وامن بجلفه على سربر اشور وسماه دورصار يوكين اي قصر صار يوكين واتم بناءه في الثاني والعشرين من شهر تشرين الاول سنة ٧٠٦ وقسمه ثلاثة اقسام زينها كلها بالنقوش والتماثيل واصناف الآنية والتحف النفيسة ونقش على جدرانها صوراً كثيرة من وقائمه مع تاريخ انتصاراته وقد استوفينا الكلام على هذا القصر في القسم الاول ولا يزال معظمة ماثلاً الى هذا العهد لم يفقد من رونقه الا القليل

وبعد وفاة صار يوكين استقل بالملك ابنة سخاريب واسمه فيما حفته بعضهم محرف عن سين اح ريب وسين اسم للفركان ملوكهم يزيدونه في اوائل اسمائهم تبركاً على ما سلف الامناع اليه ومعنى اح ريب اخ آخر . وكان سخاريب ملكاً عظيماً الشان شديد الوطأة بعيد الهمة كثير المغازي والفتوح اتى في ايامه من عظام الامور ما لم ياتوه ملك قبلة حتى طار ذكره في الآفاق وامتدت شوكته الى ابعد الاقطار ونحامت حوزته كبراه الملوك ودان لدوائه كثير من الاقاليم وكان يلقب نفسه بملك الارض وخليل الالهة على ما كان من داب ملوك اشور وبابل في ذلك العهد . واخباره كثيرة طويلة تقتصر منها على ما سنورده في هذا الموضع ميلاً الى الاختصار الذي هو الائق بحال هذه الرسالة واكثره ملخص عما وجد له من الكتابات التي كتبها بنفسه ما خلت عنه اسفار المؤرخين . قال في



بعض تلك الكتابات ما محصاة . اول غزوة لي كانت على مرودخ بلادان ملك بابل وجيوش  
عيلام وكانت الواقعة بيننا في بقعة كيش فا تطاول امد القتال حتى اجفل الملك من امامي وفر  
معتصماً باحد معاقله فلحقت باصحابه واطلقت يدي فيهم بالسبي والاسر والقتل وغنمت امواله وخيولة  
والسحنة وسائر كنوزه وذخائره وكان فيها من الذهب والفضة والآنية الثمينة والملابس الملكية شي  
كثير . ثم وجهت نفراً من رجالي فقبضوا على امرأته واعوانه وسائر من ينتمي اليه من آو وحشمو ذكرانا  
واناثاً مع الخصياف وخدام البلاط واسرت بقية الجند كلهم واخذت الجميع وبعثتهم عبيداً . ثم اني  
بامداد ربي اشور وحولوا اتمت المحصار على تسع وسبعين مدينة من مدائن الكلدان الكبيرة وثماني مائة  
وعشرين قرية فاخذتها جميعاً وغنمت منها الغنائم الطائلة وسبيت نساءها وبعثت الرجال عبيداً  
ثم انه بعد وصفه لغزوته الثانية ونصرته في بلاد مادي وارمينية والبانية وارض البرثيين  
وكوماجينة اقبل على وصف غزوته الثالثة قال وفي غزوتي الثالثة وجهت باسي نحو الدبار الشامية  
وعليها يوم ذاك ملك ضعيف العزم ضعيف البطش يسمى ايلولي كان قد بلغ خوفني من قلبه كل مبلغ  
حتى انه لما اتصل بي خبر مقدمي عليه لم يتمالك ان احتمل بنفسه وابتدر المنفر الى احدى جزائر البحر  
تاركاً لي جميع حوزته وما ملكت يده مغتماً بارداً . فاخذت مدائن صيدا الكبرى وصيدا الصغرى  
وما يتبعها من المصانع والمعامل والهياكل ثم عدت عنها واستعملت عليها ابوبعل على خراج برفعة الي  
وفي اعقاب ذلك كان ابوبعل الصيداوي وعبدليت الاروادي وميطنتي الاسوطي وبادول  
العموني وشمس ناداب الموابي ومولك رام الادومي وسائر ملوك فينيقية يتزلفون الي بالهدايا والطرف  
ويعتلمون في اجناب مرضاتي الا صدقا العسقلاني فانه ذهب بنفسه مذهب الكبر والعق وزين له  
الفرور شق عصا الطاعة فرحفت عليه مجدي ومخني ربي عنقه فقبضت عليه وحطمت الهة وآله  
آبائه واسرت امرأته وبنوه وبناته واخوته وجميع اعقابيه معه وقلنت بهم راجعاً الى اشور  
وفي تلك الغضون اتمر زعماء ميغرون وفتة من اشرافها بملكهم بادي ليقتلوه لانهم نفخوا عليه  
ميلة الى اشور واحترامه لسطوتها فحملوه الى حزقيا ملك يهوذا وسلوه الى يده . وكان لسكان ميغرون  
طبع في مظاهرة ملوك مصر والحبشة لم اذا شبت الحرب بيني وبينهم فتأهبوا جميعاً لمنازلي وحشدوا  
جيوشهم من كل اوب وخرجوا الي مجيلهم ورجلهم فالتقينا في بقعة ايلسيكا والتحم بيننا القتال فكانت  
العاقبة لي عليهم فبددت جموعهم وانحنت فيهم قتلاً وجرحاً واسرت منهم وغنمت ما لا يدخل في  
نطاق حصر . وبعد ان تمزقوا من امامي كل ممزق وانهمز بنبالي ميروي المصري وولك اقيج هزيمة  
وقد قتلت حاميتها واشككا ان بقعا في يدي اثنتيت الى ميغرون فقتلت من بها من الاكابر وزعماء  
الاحزاب وقبضت على اهل الفتنة فبعثتهم عبيداً . ثم ارسلت الى اورشليم في طلب بادي ملكهم فاعادته

الى ملكه فاقام في ظل باسي وزاد يقينا ان رأيه في لم يكن الا صوابا  
 هذا ما كان من امر اولئك الملوك واما حزقيا اليهودي فبقي شامخا بانفو ممتعا من الاستسلام  
 لدولتي استعظاما منه لامر نفسه واستغناقا بباسي ومقدرتي . وكانت له اربع واربعون مدينة محصنة  
 وعلى اسوارها من الابراج المنيعة ما يفوت العد . فدهنته بجيش كالجراد المنشر وخيمت حول  
 تلك المدن وبنيت عليها المنارس وسددت اليها آلات الحصار ومازلت اضربها بما اوتيت من  
 البطش وثبات العزيمة حتى اذقتها من البلاء امره ومن الضنك اشده ولم اولها فترة حتى فتحها عنوة  
 ودخلتها بسيفي واعامت فيها النار والسلاح وانبت رجالي في كل وجه يسبون وينهبون حتى لم يبقوا  
 ولم يدروا . فكان فتحا كبيرا لم يسمع بمثله فيما مر من الدهر وكان جملة ما سبيته وغنمته مئتي الف  
 نفس ومئة وخمسين نفسا من كبار وصغار رجالا ونساء ومن الخيل والحجر والبغال والابل والبقرة  
 والشاء وسائر الغنائم والاموال ما لا يحصى عدده ولا تقدر جلته وسنت هذا العديد كله الى اشور  
 وهو المصداق لما كان من ذلك الفتح العزيز والفوز الجليل

وبعد ذلك وجهت الحملة الى مدينة اورشليم دار الملك حزقيا فحسنته في داخل المدينة كما  
 يجس العصفور في الفص وابتنبت في ارباض المدينة ابراجا كثيرة وبثت رجالي حول السور فاذا  
 خرج احد من المدينة تخطفوه . وفي تلك الاثناء استعملت على المدن التي افتتحتها بفلسطين ولاة من  
 اشياعي وهم ميظنتي ملك اسوط وبادي ملك ميغرون واسما بعل ملك غزة . فاما ما كان من امر  
 حزقيا فانه لما رأى باسي وما احاق به من الخطر الشديد ضاقت عليه مذاهب النجاة ولم يجد للشباب  
 سبيلا فاود علي رسله بعرضون علي المهادنة والصلح وان اضرب عليهم ما شئت من الاموال ففعلت  
 وجاءه وامينوى دار سلطنتي ومقر محكمتي ووضعوا بين يدي ثلاثين وزنة من الذهب واربع مئة وزنة  
 من الفضة وكثيرا من المعادن الثمينة والحجارة الكريمة واللؤلؤ والياقوت الكبير والعروش الملكية  
 والكهرباء الخالصة وسروج الجلود وجلود البقر البحرية والاششاب المتنوعة ومنها خشب الابنوس  
 والجواري الحسان والعبيد الكثيرين ذكرانا واناثا . اه

وفي اخبار ملوك يهوذا ما يؤيد صدق هذا الخبر الا ان سخاريب طوي كتمه عن ذكر الفشل  
 الذي لقيه عند قصده لاورشليم في المرة الثانية فانه بعد ان عاهد حزقيا على السلم عاد فنكت  
 عهده ووجه عسكره على فلسطين وأم اورشليم وفيها حزقيا فحاصرها حصارا شديدا . ولمخلص ما  
 جاء في الكتاب انه لما اشتد الامر على حزقيا وسكان المدينة وبلغ منهم الضنك والضيق وتمادى  
 قواد اشور في الوعيد والتحويل على مسمع من الشعب وشموا اله اسرائيل فزع الملك وبطائنه الى  
 اشعيا بن اموص النبي فدعا الله سبحانه ونعا الى فارسل ملاكه فقتل من جيش اشور مئة وخمسة

وثمانين ألفاً فلما أصبح سخاريب اذا جيشه جثث امواتٍ فنهض ليومو وقفل راجعاً الى نينوى . اه .  
وكان ذلك نحو سنة 7٦٨ قبل الميلاد

وعاد سخاريب بعد ذلك فلمْ شعث دولته وجدد رونق ملكه ولما استجمعت له اسباب العزة  
والصولة جرد حماقته وسار بها الى بابل مدينة الفتن فواقعها مرة اخرى . وكان السبب في ذلك  
ان سخاريب لما قهر بابل في النازلة الاولى ولى عليها رجلاً من اوليائه يقال له بعليوس فاستمر امرها  
في يدك الى ان كانت نكبة سخاريب عند اورشليم وعاد بالفشل والمخسران فاغتم مرووخ بلادان  
تلك الفترة وحدثته نفسه باسترجاع الملك فاخذ في اسباب ذلك وحشد اوليائه واتباعه وزحف  
على بابل يجمع كثير فاستبشر البابليون بعودته وتغيروا عين طاعة بعليوس وجاهروا بالفتنة والمهرج  
وانصل الامر بسخاريب فبادر بعدده وعُدده ودمم بابل بجيش لا يحصى فبرز اليه مرووخ في  
طليعة اصحابه والتهمت الحرب بين الفريقين اياماً وآخر الامر كانت الغلبة لسخاريب فانهمزمت  
جيوش الكلدان وتزق سوادهم بعد ان هلك منهم خلق كثير وفر مرووخ بلادان وغمض خبزه  
آخر الدهر . ثم دخل سخاريب بابل فاستأصل منها اعراق الفتنة ومهد السكينة والطاعة واستخلف  
عليها ولده اشور ناردن وهو بكر ابنته

ولما فرغ سخاريب من امر بابل وجه غارته ناحية المشرق فامعن في البلاد ووطئ من الاقاليم  
ما لم يبلغ اليه احدٌ من سلفه حتى انتهى الى داي فدوخ تلك الارض جملةً واكثر من اراقة الدماء  
واتيان الفظائع وشنع وسي ونهب وهدم كثيراً من المدائن والمعاقب وضرم عامتها بالنار . وله على  
بعض الآثار في ذكر هذه الغزاة ما تعريبه اني ملكت الرجال والدواب والغنم والبقر وافتتحت المدائن  
والقرى ولم افارقها حتى غادرتها خطاماً

واستقرت البلاد بعد ذلك برهةً طويلة صماءً عن زعازع الحروب وفديد الجيوش وصلصلة  
الحد يد واستولت فيها الدعة والسكينة وعلا طالع سخاريب الى اوج سعده وعظم قدره في العيون  
والمسامع وتمكنت هيبة في القلوب ووقع اجاع المؤرخين على انه لم يقم في ملوك اشور من ضاهاه سطوة  
واقداماً ولا دانه عزة وسلطاناً . وفي تلك الاثناء فتق له عقله ان يجدد بناء نينوى ويجعلها بحيث  
لا تقارنها مدينة في العالم فشرع في حشد ارباب الصناعة من البنائين والتجارين والنقاشين وغيرهم  
وشيد فيها من المباني العظيمة والهياكل الرفيعة والصور الانيقة والبروج الحصينة ما لا يتأتى لاحد  
وصفة وزينتها جميعها بالزخارف البديعة والتفوش الجميلة حتى فاقت ما كانت عليه من قدم حالها .  
وقد تقدم لنا عند وصف هذه المدينة زيادة بيان فاقتصرنا ههنا عن المزيد

ولما كانت سنة 7٦٣ توفي اشور ناردن بن سخاريب فخلفه على سرير بابل ارجيبيل وكانت

مدة استيلائه عليها حولاً واحداً ثم دهمته المنية فافضى الامر بعده الى مزبزي مرودخ وكان بابليّ الاصل فتفاقت على عهده البلابل والمشاعب وجمعت اسباب الفساد تتزايد على الایام حتى اشتد الخطب وتخوف سخریب سوء العاقبة فلم يبق في رايه الا ان يستأنف الكرة عليهم ويبطش بهم مبادرة لامتناد الفتنة قبل اتساع الخرق والعجز عن تلافيه. وكان الفريق الاقوى من خرجوا عن طاعنه طوائف من الكلدان على اطراف البلاد ما يلي خليج فارس فبدأهم بالحملة وفرق عصائبهم ونكب زعماءهم ومثل بهم تمثيلاً فظيماً وجال في تلك الانحاء فاكثر فيها الدمار ورافة الدماء وهدم المدائن والصياصي حتى ترك البلاد بسيطاً غامراً. وبينما هو مشغول بامر هؤلاء زادت الفتنة احتداداً في بابل وانتهزوا منه تلك الفرصة فاجتمع لقبهم وباعوا بالملك عليهم رجالاً منهم يقال له سوزوب وانفذوا الى كدرناكتنا ملك عيلام يستجدونه على سخریب فاكذب ان اجابهم بالجيش والسلاح وانضموا كلهم بدأ واحدة وزحفوا لمنازلة سخریب فكانت حرباً هائلة تطاير شررها في الآفاق وكثرت فيها المصارع والدماء وما زال السيف يعمل في الجيوشين حتى اجلت العاقبة عن فشل الكلدان فانهموا شر هزيمة وتنبعهم سخریب بجنوده فافنى منهم خلقاً لا يحصى وقبض على سوزوب وساقه اسيراً الى نينوى

وبعد هذه الواقعة ركب سخریب وسار الى عيلام لينتقم من كدرناكتنا فاوغل في البلاد واثنى فيها ودمر حتى رجفت منه الفرائص وطاطأت له المناكب وجعل لا يمر بمدينة الا استسلم اهلهما في وجهه وغدا اعزتهم اذلة بين يديه حتى بلغ جلاء ما افتتحة اربعاً واربعين مدينة من المدائن الكبيرة. وسخریب على بعض الآثار يصف غارته هذه من جلاء كلام ما تعريته. وسطع من تلك الآفاق دخان متواصل ملاً السماء والارض وطبق سحابة البسيطة وكان للنيران اجاج وزفير اشبه بزمان الرعد. ولما بلغ كدرناكتنا مقدم بأسى عليه طارت نفسه شعاعاً حتى اذا ازدهلت من عاصيته وعصفت بو رجي من كل اوب اعنصم بالفرار من وجهي وتواري في قاصية ارضه فشددت الحصار على مدينته وصممت على اخذها. اه. ولم يات على هذا الاثر زيادة على ذلك لكن ورد على غيره من الآثار انه بعد ذلك عدل عن اخذ المدينة ورفع عنها الحصار وانقلب راجعاً الى نينوى وذلك لانه وجد في اذلة التنجيم ما يندره خوف العاقبة فرضي من الغنمة بالاياب

وبعد نحو ثلاثة اشهر من مفر كدرناكتنا ادركته المنية فباع العيلاميون اخاه اومان مياناً وكان اومان مياناً هذا خليلاً لسوزوب فلما اتاه خبر تملكه جعل يررد اليه رسلاً واكثر من صلته حتى احتال له في النجاة من قبضة سخریب وكان لم يزل مسجوناً في نينوى فلما اقلت من محبسه انطلق الى عيلام فرحب بو اومان واحسن مثواه وحقق آماله وعقد له على جيش كثيف من

العيلاميين فزحف بهم سوزوب على بابل والتفت عليه اقوام من البابليين فاصبحوا عصبة منبعة. فلما رأى سنخاريب ذلك جند جنوده وخرج عليهم وقاتلهم قتالاً شديداً كان هو الظافر فيه أيضاً فكسر شوكتهم وفضّ جموعهم وقتك فيهم فتكاً ذريعاً. وله على بعض الآثار في تفصيل هذه الواقعة ما ملخصه . لما فوّض البابليون امرهم الى سوزوب التي يده على كنوز الهرم وابتز ما في هيكل بعل وزربانيت من الفضة والذهب وبعث بذلك هدية الى اومان مينان ملك عيلام في سبيل الاستمالة له والتقرب منه ووجه اليه بسالة المظاهرة عليّ ويقظم اليه من استيلاء بطشي ووطاة عزّي وضرع اليه في ذلك اشدّ الضراعة حتى مال العيلامي الى شكواه وامده بالرجال والمدد فجعل دابة العيث في البلاد وركوب الفطائح من القتل والسبي والنهب واستطال على الناس بالبغي والجور فاستوقد بذلك غضبي واثار من حميتي فنهضت اليهم مجتئق شديداً واتخذت مركبتي الكبرى والنوس التي وهبها ربي واهطلت عليهم من النبل ما اوشك ان يسد الافق كثرة حتى سالت بماءهم البطاج وما لبثوا الا قليلاً حتى استسلموا للفرار فلأت يدي من غنائمهم واسرت منهم عدداً لا يحصى وقطعت ايديهم حتى لا يستطيعوا ان يعودوا الى حل السلاح. انتهى ببعض تصرف. وكان في جملة من اسرهم نبو بلارسكون بن مرودخ بلادان فاما سوزوب واومان مينان ففراً بانفسهما الى عيلام

وفي سنة ٦٨٣ عاد سوزوب الى بابل مرةً ثالثة لتهدم الفتنة فنهض اليه سنخاريب وقد اخذهُ من الكنتق ما لم يبق معه موضع للصبر ولا محل للرفق وانصبّ عليه بجنوده فانكسر سوزوب كسرة لم يبق بعدها وتسلم سنخاريب بابل فضربها ضرباً شديداً ولم تاخذهُ فيها رحمة ولا شفقة مع ما كان لها عنده من الحرمه لانها مدينة الآلهة وولي عليها ولده آشور ناردين المعروف بأسرحدون وهو رابع ابناءه. وبعد ما مهد الامر في بابل انقلب راجعاً الى نينوى فاقام بها زهاء سنتين يحكم بالعسف والجور الى ان كان يوماً ساجداً في هيكل نسروخ فوثب عليه ابنه ادرملك وشرّس رقلاه بالسيف طبعاً في تولي الملك من بعده وكان مقتله سنة ٦٨١

وكان من اعقاب ذلك انه لما بلغ الامر اسرحدون في بابل حشد كتائبه وانفض بها على نينوى يريد النقمه من اخويه وتسلم المدينة بعد ايوه فاجنل اخواه من وجهه وفراً بانفسهما الى ارمينية فقبض اسرحدون على زمام نينوى واجتمع اليه الامر على اشور والكلدان جميعاً . ولما استتب في يده الملك شرع في تقبل ايوه في الاحكام والغارات وتشبيد المعامل وانصور ولم يلبث طويلاً حتى بلغ من العزة والسطوة وبعد الصيت وفضامة الشأن ما لم يبلغه كثير من عظام الملوك . وكان اسرحدون من اشد الملوك عزيمه واعلام همه واقوام جاشاً وكان على ذلك موقفي المقدم مسعود الجدد لم يخفق في غزوه ولا توجهت عليه هزيمة مع كثرة غاراته وحره وبعده مترعه في الغزوات والفتوح . واخباره

لا يزال الكثير منها الى هذا العهد مسطراً على الآثار غير انها غُفِّلَ من بيان التاريخ نافضة الشرح في اكثر المواضع الا ما كان منها في اوائل ملكه فانه اوسع بسطاً مما يليه  
فما نطقت به تلك الآثار ما حكاه اسرحدون عن نفسه قوله في بعضها . اول ما اخذت الى الغارات وجهت طلّاع باسي جهة فينيقية فحاصرت مدينة صيدا التي على فم البحر فدككت اسوارها ونسفت مصانعها وهياكلها وطرحت انقاضها في البحر وقتلت من بها من الكبراء والزعماء وفرّ ملكها عبد الملكوت فاوغل في البحر فتعقبت مسيره وشقت الامواج وراة شق الاساك حتى ادركته فقبضت عليه وجذعت انفه ثم عدت فاستحوذت على ما في خزائنه من الذهب والفضة والحجارة الكريمة والكهرباء والجلود المطيبة بالافاويه العطرة وخشب الابنوس والانسجة المصبوغة بالنيل والارجوان واستفتت من ملكه الرجال والنساء والبقر والشاة والدواب وسائر ما يهيا لي نقله وحمله الى ملكتي . وبعد ذلك شيدت حصناً منيعاً سمّيته دور اسرحدون وشعنته بالرجال الذين اجلبتهم من البحر الاعلى من ناحية مشرق الشمس

وبعد ان اتمت كلامه في هذه الغزاة ذكر انه سار من هناك الى مملكة يهوذا يريد التهامها فنازها وقهر ملكها منسى وقاده اسيراً الى بابل ثم رقى له فاعاده الى ملكه على اناوة يرفعها اليه كل سنة . قال ثم خرجت من هناك قاصداً اقليم وان وناحي بحر الخزر فدوّختها جملة وبيننا انا في تلك الاطراف وقد ترامت المسافة بيني وبين ملكتي اغنم نبورسمنات بن مروذخ بلادان هذه النهضة واغرى من تحت يده من الطوائف القاطنة عند خليج فارس بالنشوز عن طاعتي فانصرف اليهم واوقعت بهم ووليت عليهم مكان نبورسمنات اخاه نهيدي مروذخ بعد ان ضربت عليه خراجاً . وعدت من بعد ذلك الى بابل فلما بلغت وجدت سبيلات هيكل بورسبيا قد استولى عليها رجل كلداني اسمه ساسيني وفرّ بها الى مدينة يقال لها بيت دكوري فتوجهت اليه فيها وانتزعت من يده السبيلات المفصولة وأعدتها الى موضعها في بورسبيا وولت الاحتفاظ بها الى نبوسليم بن بعلزو وهو من الثقات الفاضلين مجرمة الشرائع وصيانة القوانين

ثم قال وكان ابي قد غزا الى بلاد العرب وافتتح مدينة دومة الجندل وهي عاصمة البلاد فجذدت الغارة على تلك البلاد وقهرتها وغنمت منها واجلبت جماً غفيراً من اهلها . وبعد ذلك وفد عليّ الرسل من عند ملكهم يحملون اليّ الهدايا السنية والبضائع التي يعزّ وجودها في غير البلاد العربية ويسألوني ان امنّ عليهم بالاصنام التي غنمتها من ارضهم فاستجبت مسؤلهم وامرت النخاتين فاصلحو ما تعطل منّا ثم امرت فنقشت عليها تسابيح اشور وعظام اسمي المجل . وبعد ان مضت على ذلك من الدهر تغير رأيي فيهم فوجهت اليهم طايبوا احدي نسائي تتولى الحكم عليهم وقلت لها

اذهي فقد جعلتك سيداً على العرب كلهم وعهدت اليها ان تاخذ لي منهم في كل سنة خمسة وستين  
 وقرجل علاوة على ما كانوا يودونه الى ابي سنخاريب  
 ثم ذكر انه بعد ذلك توجه لندبير اقليم الحجاز وعاصمته اذ ذاك مدينة يثرب وعليها ملك اسمه  
 حسن فلما قضى نحبته قلد مكانه ابنة يعلى وضرب عليه اناوة جزيلة . ثم اوغل من هناك في بلاد  
 العرب حتى اتى اليمن ودخل حضرموت وغنم منها الغنائم الطائلة وعطف منها على بلاد فارس  
 فدوخها واسر بعضاً من ملوكها وقفل عنها ظافراً مؤيداً . ولما استقر به المقام في نينوى اقام بها صرحاً  
 كبيراً جعله مدخراً لذكوره . وفي سنة ٦٨٢ غزا الى قبرس واخضع ملوكها العشرة ثم ارتحل منها الى  
 مصر فادخلها في طاعنه وترك فيها قوماً من الاشوريين يكتنون سيطرة عليها ورقباً خوف الفتنة  
 وكان اكثر مقام اسرحدون ببابل كما يدل على ذلك كثرة ما له فيها من المباني وهو آخر من  
 اشهر من ملوك اشور بالفتوح الكبيرة والغزوات البعيدة والابنية المحافلة والزخارف الثمينة حتى  
 يروى ان القصور التي من بنائه كانت كلها مكسوة بالفضة والذهب تاخذ بالبصر من شدة لمعانها .  
 وفي هذه السنين المتأخرة كشف له اللورد لايرد الانكليزي المذكور غير مرة في هذا الكتاب قصراً  
 بناء ببابل لعلة من اعظم القصور البابلية يقول اهل التنقيب انه من صنع الفينيقيين الذين اجلاهم  
 معه الى بابل

وفي سنة ٦٦٨ مرض اسرحدون واعضلت عاتقه فجمع اليه اكابر دولته وعقد مجزعتهم بيعة  
 الملك لولده اشور بانيبال وكان ذلك في اليوم الثاني عشر من شهر ايار ولم يبق لنفسه سوى مدينة  
 بابل واعمالها . وكان اشور بانيبال اذا كتب الى ابيو يفتتح كتابه بقوله من اشور بانيبال ملك اشور  
 الى ابي ملك بابل . وعاش اسرحدون بعد ذلك سنة ثم ادركته الوفاة  
 ولما مات اسرحدون خلفه على سرير بابل ولده صملصامغين وهو الذي يسميه المؤرخون  
 بصاوصدوخين فلم يستقر في الملك حتى هاجت الفتنة في بابل وهو في مقدمة الاحزاب وقد انضم  
 اليه نعومان ملك عيلام ومن شايعة من النافرين وهبت ام مصر والعرب في طلب الاستقلال  
 وانتشر الشعب في جميع الاقاليم الخاضعة لاشور بانيبال فجرّد اشور بانيبال جحافلهم وزحف بها  
 لمقاتلتهم فكانت بينه وبينهم مواقع شتى دارت فيها الدائرة على الاحزاب ففرق جموعهم واكثر فيهم  
 من النكال وفرّ صاوصدوخين فلجأ الى اخيه له كانت لها شفاعته عند اخيه اشور بانيبال فتوسل  
 بها اليه ان يسأل له الصلح عن صنيعه فنّ عليه وردّه الى ملكه . ثم سار الى شوشانة وعيلام ليحل  
 بها نعمته على ما لآتمها لآخيه ففهرها جميعاً وقتل نعومان ملك عيلام وحرّق كثيراً من المدائن وعاد  
 الى نينوى وقد انتشرت مهابته في تلك الاقطار

وكان بعد وفاة نعومان قد استولى على سربر عيلام ملك يقال له أماندس فألى على نفسه ان يهر اشور بانبال وجرّد جيشاً كثيفاً وسار به بعوث في المالك الاشورية واتخذ له معقلاً في الجبال التي بجبال سوزا شحنة بالذخائر والعُدّ فثار اليه اشور بانبال يجرّ وراة جيشاً من نخب قومه وسار في البلاد لا يرّ بمدينة من مدائن عيلام الا اذاقها البلاء واعمل فيها السيف والناحر حتى دخل مدينة شوشن وزحف منها الى سوزا فدخلها ووضع السيف في اهلها وغادر فيها جماعة من قومه ثم مضى بطلب أماندس حتى انتهى الى بانون فلم يظفر به فخرّب المدينة ثم انقلب من هناك فانشى على سوزا واستحوذ على ما فيها من الكنوز والذخائر وهدم الهيكل الذي بها وكان كعبة للعيلاميين بحجّون اليه كل سنة ونقل ما فيه من الاصنام الى هينوى وهو اول خبر وقع فيه ذكر المعبودات العيلاميين في تواريخ الامم

ولما فرغ اشور بانبال من امر العيلاميين صوّب عزيمته نحو عرب الحجاز لما رأى من امتداد ملكهم وتبسّطهم في اقطار العربية وكانوا قد استولوا على نجد وجبل شهر والجوف وبادية الشام والعراق فكانت بينه وبينهم حرب عوان اضرها عليهم مدة ثلاث سنين متوالية فاستولى على الحيرة والعراق بأسره وانقضّ على مدائن الشام فاستفتحها واستحوذ على ما يابها من شمالي العربية وزحف من هناك الى نجد فادخلها في طاعته ثم سار في طلب هويّع ملك الحجاز وكان في مدينة يثرب فحاصره فيها زماناً الى ان ضايقة اشدّ المضايقة وسدّ عليه منافذ النجاة فاستأمن اليه فأمته ودخل المدينة بالسلم ثم طلب منه اثنين من قواده فلما حضرا بين يديه امر بهما فسلبت جلودها وهما حيّان ثم امر فسلبوها وانصرف قافلاً الى نينوى

واستقرّ اشور بانبال بعد ذلك في نينوى وقد كلّ من كثرة الغارات والمعارك وانصرف الى النظر في توثيق امر الملك وتوفير اسباب الدعة والثروة في رعيته واخرج الذهب الذي غنمه في مغازيه فابتنى به مباني من جملتها قصر جعله مستودعاً للصحف والسجلات وشحنة بالاجر المسطرة عليه تواريخ الاشوريين واتمّ القصر الذي شرع فيه سنحاريب جدّه . ثم توفي سنة ٦٤٧ وكانت مدة ملكه احدى وعشرين سنة فتولى مكانه اشورد بابل الثالث ابنه المعروف عند اليونان بمخنيلا دان ولما اتصل خبر وفاته بفرارورس ملك مادي اغتمت تلك الفرصة فجهّز جنوده وسار الى فارس وكانت في حوزة الاشوريين فاجلام عنها واخرج من كان منهم في المصانع والقلاع واستولى على البلاد فاشتدّ ساعده وقويت شوكتة ومنذ ذلك شرع في تعزيز نجدته وتكثير عدده وتوفير الاسلحة والذخائر الى ان كانت سنة ٦٣٥ فحدثته نفسه ان يزحف على نينوى اقتداء بما فعل ارباش احد اسلافه فآلب جموعه ونزل عليها فبرز اليه اشورد بابل والنقى الجيشان في مضيق جبل فاقتتلا



قتالاً شديداً كانت العاقبة فيه لاشور فانهمز جيش الماديين وتبعهم الاشوريون فزقوهم كل ممزق وقُتل فراورنس ملكهم . ومات اشور ديلبي سنة ٦٢٥ بعد ان ملك اثنتين وعشرين سنة ولم يقع اليها من اخباره غير ما ذكر

وبعد وفاة اشور ديلبي افضت نوبة الملك الى اساراقس وهو آخر ملوكهم فاكاد يستقر على سرير المملكة حتى عادت جيوش مادي وفي نجدتها كثنائب الكلدان فانقضت على نينوى في عدد لا يحصى وفي مقدمتهم كيا قصر ملك مادي على ما قدمناه في الكلام على نينوى فلبثوا حول اسوارها اشهرًا حتى بلغ الجهد من الاشوريين واعياهم الدفاع عن المدينة فدخلها كيا قصر عنوة وكان من امره فيها ما ذكر هناك . وفي رواية انه بينما هم بدخول المدينة اذ وفدت عليه الرسل من قومو بان النتر والاكراد قد اغاروا على بلاده وانبتوا فيها من كل اوب يقتلون وينهبون فاعجبه ذلك عن اخذها واسرع الاوبة الى ارضه فاقام فيها بقائل نحوًا من تسع عشرة سنة حتى دفع النافرين واطمانت البلاد . وكانت نينوى في تضاعيف ذلك لا تزداد الا وهنًا وهرماً فلما فرغ كيا قصر من نوبة النتر عاود الكرة الى نينوى وقد عقد عزمه على ان ينسفها من أسسها ويدكها دكة لا تقوم بعدها ايكفي البلاد عسف الاشوريين واستطالهم فامتادى امر حصاره لها حتى خرت بين يديه فدخلها يجيوشه واطلق يده فيها بالقتل والسي والحريق والهدم حتى اعادها قاعاً صنفصفاً

### ذكر الدولة البابلية الثانية

قد اسلفنا ما كان من امر بعليزيس واسنيلاثو على البلاد الاشورية بعد تدبيره لنينوى وليثت اشور في طاعته الى ان توفي سنة ٨٤٧ على ما مر في موضعه بعد ما ملك احدى واربعين سنة فتولى الامر بعده رجل من سلالة الملك يقال له نيونصر وكان من امره انه اول ما تولى الملك امر باحراق السجلات والكتابات المحفوظة ليعلموا ذكر كل من ملك قبلة من الاجانب على بابل وتقدم الى رؤساء الامم ان يبدأوا بتاريخ جديد يفتتحونه من ٢٦ شباط من السنة المذكورة وهو اليوم الذي رقي فيه سرير الملك وكان ذلك في اليوم السادس من تأسيس رومية ام الملائن . وفي السنة الاولى من ملكه نهض تغلث فلاسر الرابع وحرر اشور من قبضة الكلدان بعد قتال دام بين الفريقين الى سنة ٧٤٣ على ما تقدم الكلام عليه . وبعد وفاة نيونصر هذا خلفه على الملك ابنة نادبوس ثم عقبه ثلاثة ملوك اقبلوا ايامهم بالمعارك والفتن وراح كلهم شهيداً وكانت مدة ملكهم جميعاً كما قيده بطليمس اليوناني اثني عشرة سنة

وكانت اشور في هذه المدة كلها تر بص همزة للتخلص من عسف الكلدان الى ان قام صاربيوكين

على سرير اشور فحش على دورياقين واخذها واستنبح اكثر بلاد الكلدان فلبثت مذ ذاك تحت طاعة الاشوريين. ومالك بعد صار يوكين سخاريب وبعده اسرحدون ثم اشور بانيبال ثم اشور ديليلي وبابل في هذه البرهة كلها لا تزداد الا ذلاً ومهانة. وفي ايام اشور ديليلي انتشر اقوام من البربر في البلاد الكلدانية واكثرها فيها من العيب والفساد فارسل اشور ديليلي رجلاً من قبلي يقال له نيوبولصر وجهزه بالجنود والاسلحة وامره بقتالهم ودفعهم وقلده الامر على بابل فا زال حكمها في يده الى ان توفي اشور ديليلي سنة ٦٢٥ فاستبد نيوبولصر بامر بابل وامتنع من طاعة الاشوريين ثم تزلف الى كيا قصر ملك مادي فشد ازره وحالته ثم عقد لجنصر بن نيوبولصر على ابنته فقوتت بينهما عقدة الولاء. وفي اثناء ذلك جهز الفرقات على نينوى كما تقدم خبره الى ان اشتغل كيا قصر بامر النذر وتراجع عن نينوى فسار نيوبولصر بمن بقي من الجيش حول اسوارها وقصد الفتح الاشورية من ممالك الكلدان وغيرها فجعل يتملك منها حتى ادخلها في حوزته ولم يبق في يد اساراقس امة نينوى واعمالها

وفي اواخر ملك نيوبولصر وفد من مصر جيوش جرارة انقضت على اليهود فاذاقتهم البلاة ثم انتشرت من هناك لانتلوي على موضع الا تركت فيه آثاراً من العيب والدمار حتى وصلت الى كركيش عند الفرات فاستحوذت عليها وحصنتها استعداداً للوثوب على بابل على حين غفلة. فخوف نيوبولصر عاقبة امرهم واذا رأى نفسه شيخاً سلم قيادة الجيش الى ابني جنصر ووجهه بالأمه والرجال فزحف الى كركيش حتى التقى بهم واصطلت بين الفريقين مواقع شديدة كان الفوز فيها لجنصر فاهلك منهم خلقاً لا يحصى وفر الباقون بانفسهم ونشقتوا في البلاد. وفي غضون ذلك نفي اليو خبر وفاة ايوبادراوية الى بابل وكان كبيراً وها وشيوخها يتوقعون مقدمه فتسلم ازمة الملك بعد ايوب وتوجه لعقد الامور وكان ذلك سنة ٦٠٧ قبل الميلاد. وفي تلك السنة جهز جيوشه وسار بها الى البلاد الشامية فادخلها في طاعته ثم توجه الى اورشليم وعليها يومئذ الياقيم او يهوياقيم فقبض عليه واوثقه بسلاسل من نحاس في نية ارساله الى بابل فافتدى نفسه بمال يرفعه اليو كل سنة فمن عليه وردة الى ملكه. وبعد ثلاث سنين امتنع الياقيم من حل المال اليه فاستأنف بجنصر الحملة عليه وسير اليه جيشاً كثيفاً فنزل على اورشليم وحاصرها حصاراً شديداً وفي تلك الاثناء توفي الياقيم فتولى موضعه ابنة يهوياكين وابثت المدينة تحت الحصار اشهرًا الى ان رأى بجنصر ان الامر قد تطاول جداً فنفض بنفسه وجند جنداً غير الذي مع قواده وسار الى اورشليم وضابنها اشد المضايقة حتى بلغ من اهلها الضنك واعياهم الثبات على مقاومته فخرج اليو يهوياكين بنسائه وعبيده وقواده وخصيانه فقبض عليهم بجنصر وارسلهم جملة الى بابل واجلى معهم عشرة آلاف نفس من اهل اورشليم من

رؤساء وجبايرة وصناع وغيرهم ما خلا اقواماً من الصعاليك خلفهم في المدينة وملك عليهم نينياً عم  
يهوياكين بعد ان اخذ عليه المواثيق والايمان الموكدة وسماه صدقياً واستولى على جميع ما وجدته من  
ذخائر بيت المقدس وكنوز الملك وانقلب راجعاً الى بابل وكان ذلك سنة ٥٩٩

فلبت صدقياً مالكا على اورشليم تسع سنين خاضعاً لخنصر ثم سولت له نفسه الخروج عن  
طاعته فجاهر بالعصيان وارسل الى حفرع فرعون مصر يستصرخه فاشتد ذلك على خنصر  
وعزم على نسف اورشليم من اساسها وان لا يبقى لها باقية تذكر ولم يمض على ذلك الا اليسر حتى  
احاطت جيوشه باورشليم وبنوا عليها البروج ونصبوا الدبابات والمجانيق فاقامت تحت الحصار  
ثمانية عشر شهراً حتى اشتد الجوع في المدينة وذاقوا من الويل ما لم يبق معه للصبر طاقة فعمدوا  
الى نهر السور وفر جميع المقاتلة ليلاً وفيهم الملك . وكان جيش الكلدان محققاً بالمدينة فتنبهوا  
وادركوا الملك في بركة اربحا وقد تفرقت عنه جميع جيوشه فقبضوا عليه وقادوه الى ربلة من ارض  
حماة وكان بها خنصر فقتل بنوه على مرأى منه ثم فناء عينيهِ قائلاً ليكن هذا آخر ما تراه من الدنيا  
وبعد ذلك قيده بسلسلتين من نحاس وسبّره الى بابل . ثم وجه خنصر واحداً من قواده يقال له  
نيوزرادان الى اورشليم فاحرق بيت المقدس وبلاط الملك وكل بناء باورشليم ودك اسوارها الى  
الارض واجلى من بقي من يهودا الى بابل ولم يبق الا شردمة من مساكنهم ليكونوا اكرّة في الارض  
واستعمل عليهم جدانياً بن احيقام وحمل كل ما كان في الهيكل من اعمدة وآنية وبعث به الى بابل وقاد  
من وجده من اكابر اليهود الى ربلة فقتلهم بخنصر عن آخرهم

ولما ذاق بخنصر حلاوة النصر وآس طالع الفوز وجهه بأسه ناحية فلسطين يزيد التهامها لما  
رأى بها من الثروة والنعيم وانزل جيشه على مدينة صور وساق اليه القوات من العجلات والاسلحة  
وامدة بالعديد والنفقات واقام يحاصرها نحواً من ثلاث عشرة سنة حتى دخلها عنوة فاسرف فيها  
بالنكال والهدم والحريق وسمى منها وغنم الغنائم الطائلة وكان هذا الفتح سنة ٥٧٤ . وبعد ذلك  
زحف على الاقاليم الموآبية والعمونية وكانوا قد اعدوا اليهود على قتالها ايام حصاره لاورشليم فقاتلهم  
واكثر فيهم من النكاية والنهر ثم سار الى البلاد العربية فدخل الحجاز واليمن ونجد وعاد عنها مظفراً  
غانماً ولم يدع موضعاً في آسية الغربية الا تغلب عليه وقهر اهله

ولما فرغ من هذه المعارك وقد اطمانت البلاد بين يديه ودانت الملوك لشوكته قفل الى  
بابل ومعه الاسرى من كل اقليم وامه وصرف همه الى عمارة البلاد فتوفر دخل الدولة خراجاً وغلة  
واكثر من المباني المزخرفة والمصانع المشيدة حتى اصبحت بابل منتطعة الثرى في الثروة والعزة  
وقد ذكرها هيرودوطس اثر سياحته في القرن الخامس قبل الميلاد فقال وبابل مدينة متناهية

في الخفامة والجلال لا يتصور ان تحاكمها مدينة في روتق وسعة حضارة . وكان الاسرى والغرباء في عهدهم يتولون الامارات والمناصب العالية كما هو جارٍ بين الاتراك لهذا العهد وحسبنا ثبوتاً في ذلك ان دانيال اليهودي عم كان وزيراً في بلاط الملك تنفذ كلمته في ام الكلدان بلا معارض وكان يختصر من اجل الملوك قدراً واعلام همة واسعدهم طالماً انه في آخر مدته غلبت عليه الخيالة والزهو وفيما رواه دانيال عم انه بينما كان في بعض الايام يمشي في قصره تيهاً وبين يديه بابل يرى عظمتها وقخامتها اخذت من نفسه نشوة الكبر ونزت في راسه سورة العجب وقال في نفسه هذه بابل مقر سلطاني ومبارة مجدي قد شيدتها بقدرتي وعززتها بجلالي فاي ملك يضاهيني في قوة السلطان وعزة الحول . ولحين وقع عليه صوت من السماء يقول له اعلم يا مختصر ان ملكك هنا سيبتز من يدك وعن قليل ستكون منفياً من بين اظهر البشر ويكون اليك وحش الصحراء وتاكل العشب كالثيران وتضحي عليك سبعة ازمة (كنا) وانت في هذه الحال حتى تعلم ان الملك لله يوتيه من يشاء . فلما سمع مختصر هذه المقالة دهش واخلى عقله وخرج فهم في الارض لا يروي مثلاً ولا يالف إنساناً حتى انقضى الاجل المضروب له فتاب اليو رشدة وعاد الى بابل وتسلم ازمة الملك من يد بعل بسروق الذي كان قد ناب عنه في تلك المدة وملك بعد ذلك سنة ثم ادركته الوفاة لثلاث واربعين سنة من وفاة ابيو . انتهى ببعض زيادة

وبعد وفاة مختصر افضت نوبة الملك الى ابني البكر اويل مرووخ وكان في مدة مرض ابيو قد سجن في محبس يهويابين ملك يهوذا فلما استقل بالامر رفع شأن يهويابين واعلى منزلته على سائر من عنده من الملوك الذين اسرهم ابوه وجعل له وظيفة دائمة في بلاطه . وكان اويل مرووخ متفرغاً للملاهي قليل الاكتراث بشرائع الامة حتى روى يروسوس انه وطى بنعلو كتاب السنة التي جرى عليها سلفاؤه فكان ذلك داعية الى حتى الامة عليه فثاروا باجمعهم يطلبون قتله فظفروا به وقضوا عليه بعد سنتين من وفاة مختصر . وكان في مقدمة الثائرين عليه نريكليس بن بعل بسروق المتقدم ذكره وكان صهراً لاويل مرووخ متزوجاً باخيه فتسلم الملك من بعده واستقر على سرير بابل . وكان الماديون في ذلك العهد قد اشتدت شوكتهم وتعاظم شأنهم فحدثت نفسة ان يزحف لقتالهم اقتداءً بما فعل الذين سلفوه من ملوك بابل وانفذ رجالاً من قومو يجسسون ما عند الماديين ويستنبطون دخلتهم وارسل الى حلفائهم من الملوك يسألهم النجدة فلجا ابوه ووجه اليه كوسبوس ملك ليدية جيشاً كثيفاً فنهض يجر جحافل حتى وفد على ارض مادي . وكان الماديون على بينة من قصبه فارسل كما قصر ملكهم الى كبيز ملك فارس وكانت بينهما مصاهرة ان يوافيه بالعدة والادوية ووجه اليه ثلاثين الفا من الجند بقودهم قورش ابنه وانضموا جميعاً اليهم فعمون نريكليس . فلما اتى

الجمعان اقتتلوا قتالاً شديداً وكان نربكليس في مقدمة حاميه فاصابه رجلٌ من اتباع قورش  
بنصلٍ حرق صدره فمخّر لساعته صريعاً وانفضّ جيشه وتبعهم جيش مادي فمزق قومه كل ممزق  
وعادوا عنهم بالاسرى والغنائم وكان ذلك سنة ٥٥٥

وملك بعد نربكليس ولد له اسمه ليورسرخد وكان صبيّاً دون البلوغ فعبيث بالملك وقتل  
جماً خديراً من كهراه دولتي ونبلاء عصره لغير جريرة اولبدوات صبيانية حتى قيل انه قتل ابن قائد  
جيشه لانه اصاب في الصيد طيراً لم يصبه هو. ولما سم الكلدان امره تمالأوا عاير وخلصوه لتسعة  
اشهر من ملكه وباعوا مكانه ملكاً آخر اسمه نبونيدس من اعقاب بختنصر. وكان قورش الفارسي  
في تلك الاثناء قد اغزى الى اكثر الممالك بأسية فاحتمها بسلطنته ولم يبق الا بابل فتقدم اليها بجيشه  
المتعصر سنة ٥٣٨ واقام الحصار على سورها الداخلي المحدث بهورسبيا ففوض نبونيدس امرة الجيش  
الى ابنه بلطشصر واقامت المدينة تحت الحصار ما شاء الله الى ان رأى قورش ان لا سبيل الى  
اخذها عنوة فعاد الى استنباط الحيلة حتى اذا كان في ليلة عيد للكلدان وقد اشتغلوا بالملاهي  
والشراب دخل المدينة من ماء الفرات فلم يشعر الناس الا واسلحة قورش تخطفهم من كل جانب  
فقتل بلطشصر ونجا ابوه الى بلاد الكرمان ففضى غابر حياته هناك ومذ ذاك اضحلت كلمة  
الكلدان فلم يعقد لهم ملك ولم تثبت لهم جماعة

انتهى

